وزارة التعليم العالي والبحث

العلمي

جامعة بغداد

كلية العلوم الإسلامية

مجلة كلية العلوم الإسلامية

فكرية – فصلية - محكمة
تصدرها

كلية العلوم الإسلامية

جامعة بغداد

العدد: ١

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد: (٦٣٣) لسنة ١٩٩٦

تعانقُ الوقف في القرآنِ الكريم بين الأعراب والمعَنى

الدكتور عبد الرحمن مطلك الجبوري
كلية العلوم الإسلامية
قسم اللغة العربية

تَقْدِيمٌ وتَعْرِيفٌ

الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله سيدنا محمد وعلى آلِهِ وصحبه ومن والاه.
أما بعد.

فقد انزل الله سبحانه وتعالى قرآنه الكريم على نبيهِ محمد ﷺ مفرقا مفصلا محكما[١] ليبلغه الى الناس كافة على تمهُّلٍ وتوءدةٍ وترسل، فقال ﴿وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا﴾[٢]. وقد أمرهُ عز وجل في جملة ما أمره ان يرتل القرآن ترتيلا [٣]. والترتيل في القراءة معناه: الترسلُ فيها والتبيين [٤]من الرّتل وهو حسن تناسق الشئ وبياض الاسنان وكثرة مائها، ويُقال ثَغْرٌ رَتّلٌ اذا كان مستويَ الثنيَّات [٥]. وترسَّلُ في قراءتهِ، أي: اتأدَ فيها وتَمَهَّل من الرّسل في الأمور والمنطقِ والتثبت والتفهُّمِ والترفق من غيرِ أن يرفع صوته شديدا [٦]. ومعنى التبيين: الكشف والايضاحُ من بان الشئُ بيانا، اتضح فهوَ بّين [٧]. ورتّلِ القرآن ترتيلا، أي: ارسله ارسالاً وبيَّنهُ تبيينا ووضَّحهُ توضيحا وفصَّلَهُ تفصيلاً، وذلك

---

[١] صحيح البخاري ٦/٢٤٠" يُفرقُ: يُفصِلُ. قال ابن عباس: فرَّقَناهُ فَصَّلناهُ "

[٢] الاسراء – ١٠٦.

[٣] الآية – ٤ من سورة المزمل * أَو زِدْ عليهِ وَرَتِّلِ القرآنَ ترتيلا *

[٤] الصحاح (رتل).

[٥] نفسه.

[٦] الصحاح واللسان (رتل).

[٧] المصدران االسابقان (بين).

كله يتطلب توءدة في القراءةِ وتمهُّلاً في الأداء يتحقق فيه التتابُعُ ليتم التبيين الذي هو " تفصيل الحروف والوقف على ماتم معناه منها " [٨].

وعلى هذا فترتيلُ القرآن " هو قراءته في تمهُّلٍ وتوءدة بحيث تتتابع الحروف والكلمات، فيأخذ كل حرف مكانَهُ على الفم من كل كلمة، كما تأخذ الكلمة مكانها من كل آية حتى ينتظم جميعها موكب متحرّك في نظام أشبه بحبات الدرّ في عقدها " [٩]، ولذا وجه سبحانه وتعالى نبيَهُ ﷺ، بقوله ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾ [١٠] وعن الامام علي، عليه السلام، في قوله تعالى ﴿ورتل القرآن ترتيلا﴾ قال: الترتيلُ تجريدُ الحروف ومعرفة الوقوف [١١].

ونحن نعلم ان القرآن معجزةُ هذه اللغة، وهو اصل علومها نشاةً وموضوعاً، فكلها صدرت عنه واستقت منه في كشف أسراره وشرح الفاظهِ واظهار معانيه وتفسير اعجازهِ. ومن هذهِ العلوم التي صدرت عن القرآن ولازمته: الوقف والابتداء وهو علم قائم على البيان الذي أشار اليه تعالى بقوله ﴿علم القرآن خلق الانسان علمه البيان﴾ [١٢]، ومن البيان، كما اسلفنا، " تفصيل الحروف، والوقوف على ماقد تم والابتداء بما يحسنُ الابتداءُ بهِ، وتبيين مايجبُ ان يُجتنبَ من ذلك" [١٣]. والقرآن الكريم موصوف بأنه ﴿لسان عربي مبين﴾ [١٤] و ﴿ان هو الا ذكر وقرآن مبين﴾ [١٥] واذا كان النبيّ ﷺ، قد أُمِر بان يرتل القرآن ترتيلا ويبينه تبيينا، فان هذا الامر هو أمرٌ لأمَّتِهِ ايضا، فهم كذلك مأمورون بقراءتِهِ وتدبرِهِ وتفهمِهِ و لاستماع لهُ والانصات اليهِ، قالَ تعالى ﴿واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا

---

[٨] القطع والائتناف ٧٤.

[٩] التفسير القرآني للقرآن ١٢٥٠.

[١٠] القيامة ١٦.

[١١] الاتقان في علوم القرآن ١/٢٣٠.

[١٢] الرحمن: ١-٤.

[١٣] القطع والائتناف ٧٤.

[١٤] النحل ١٠٣ ﴿لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾.

[١٥] يس ٦٩.

لعلكم ترحمون﴾[16] لأنَّهُ دُستورُ حياتهم، ولذا حثّهم عليهِ ورغَبَهمْ فيه وامرهم به وحذرهم من هجره وتعطيله والاعراضِ عنه وعدم الحكم به والاحتكام اليه، فقال: ﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾ [17] و﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا﴾ [18].

وقد ثبت ان قراءة النبيﷺ، كانت مفسَّرَة حرفاً حرفا [19]، كما كان عليه الصلاة والسلام يقطع قراءته آيةً آية [20]، ويمدُّ فيها مَدّاً [21]، وقد تعلم الصحابة رضوان الله عليهم الوقف او القطع والاسستئناف من رسول اللهﷺ، كما تعلموا القرآن ومافيه من احكام، فقد رويَ عن ابن عمر، ان الصحابة " مانوا يُعَلّمون ما ينبغي ان يوقف عنده، كما يتعلمون القرآن " [22] وعنه، ﷺ، قال " لقد عشنا برهة من دهرنا وأنَّ أحدنا ليؤتَى الايمان قبل القرآن وتنزل السورة على محمد ﷺ، فنتعلم حلالها وحرامها، ومايتبغي أن يوقف عنده منها، كما تتعلمونَ أنتم اليوم القرآن.. " [23].

الوَقْفُ لُغَةً وأصطِلاحاً

قال ابن فارس: " الوار والقاف أصلٌ يدلُّ على تمكث في شئ.. " [24]، والتمكثُ من المكث، كلمة تدلُ على توقف وأنتظار[25]، يقال: وقفت الدابةُ تقفُ وقوفا ووقفاً اذا حَبَسَتْ حركتها وتخلّت عنها وامتنعَتْ، ووقفتُها أنا وقفا

---

[16] الاعراف ٢٠٤، وانظر المزمل ٢٠ ﴿فاقرءوا ما تيسر من القرآن﴾ وفصلت ٣، والقمر ١٧، ٢٢، ٣٢ ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾

[17] الزمر ٢٢، وانظر الزخرف ٤٤، الجن ١٧، المائدة ٤٤، ٤٥،٤٧.

[18] الزُّخرف ٣٦.

[19] ينظر: سنن الترمذي ٢٥٤/٤، القطع والإئتناف ٨٦.

[20] ينظر: القطع والائتناف ٨٧، الاتقان ٢٤٣/١.

[21] ينظر: صحيح البخاري ٢٤١/٦" عن قتادة قال: سألت أنس بن مالك عن قراءة النبي ﷺ فقال كان يُمُدُّ مَدّاً ".

[22] البرهان في علوم القرآن ٣٤٢/١، الاتقان ٢٣٠/١.

[23] القطع والائتناف ٨٧، وينظر: الاتقان ٢٣٠/١.

[24] مقاييس اللغة ١٣٥/٦.

[25] نفسه ٣٤٥/٥.

اذا قيدتُها[٢٦]، ولذا، فالوقف: الحبس [٢٧]وهو ضِدُّ التخليةِ، قال تعالى ﴿ولو ترى اذ وُقفوا على النار﴾ [٢٨]اي حُبِسُوا عليها او بقربها معاينين لها [٢٩]، وقال: ﴿ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم﴾ [٣٠]، أي: محبوسون في موقف الحساب يتراجعون الكلام فيما بينهم باللوم والعتاب.. [٣١]. وجاء الحبس بمعنى الوقف في قوله تعالى ﴿تحبسونهما من بعد الصلاة﴾ [٣٢] أي: تقفونهما لليمين والحلف [٣٣]. وجاء الحبس بمعنى المنع في قوله تعالى ﴿ليقولُنَّ ما يحبسُه﴾[٣٤]، أي: أي شيء يمنعه من النزول [٣٥].

وسمي السوار وقفا لاحتباسِهِ في المعصم و " لانهُ وقف بذلك المكان " [٣٦]، ويقال: وقفتُ المرأة توقيفا اذا جعلتُ في يديها الوقف. والحُبْسَةُ: بضم الحاء، الصمتُ. وحكى ابو عمرو بن العلاء: كلمتهُم ثم اوقفت، أي: سكتُّ [٣٧].

ويبدو أن الوقف قريب في دلالتِهِ من القطع، ان لم يكن رديفه، واذا كان القطعُ فصلاً وهو ضد الوصل كما في قوله تعالى ﴿ويقطعون ما أمرَ اللهُ به أن يوصل﴾ [٣٨]، ويقال: قطعتُ الشيء، اقطعه قطعاً فأنقطع، أي فصلتُهُ فانفِصَل، وفصلتُ الشيء فانفصل، أي: قطعتُهُ فانقطع، والتقاطع ضد التواصل، وانقطع الشيءُ: ذهب وقتُهُ، ومنهُ قولُهُم: انقطع البردُ والحرُّ [٣٩]. اذا كان القطع كذلك،

---

[٢٦] ينظر: الصحاح واللسان (وقف).

[٢٧] في المقاييس ٢/١٢٨ " والحبسُ مُا وُقِفَ ".

[٢٨] الانعام ٢٧.

[٢٩] ينظر: زاد المسير ٣/٢٢، تفسير القرطبي ٦/٤٠٨.

[٣٠] سبأ ٣١.

[٣١] تفسير القرطبي ١٤/٣٠٢.

[٣٢] المائدة: ١٠٦.

[٣٣] ينظر: الكشاف ١/٦٨٧، التفسير الكبير ١٢/١١٧.

[٣٤] هود ٨.

[٣٥] ينظر: الكشاف ٢/٣٨١.

[٣٦] مقاييس اللغة ٦/١٣٥.

[٣٧] ينظر: الصحاح (وقف)، مقاييس اللغة ٦/١٣٠ وجمهرة اللغة ٩٦٨.

[٣٨] البقرة ٢٧.

[٣٩] ينظر: العين ١/١٣٦، الجمهرة ٩١٥، الصحاح (قطع).

فالوقف يعني: الحبس، كما اسلفنا، والمنع عن، والفصل والقطع ايضا، يقال: منعتُ الرجل عن الشئ فامتنع منه، أي: امرته بان ينفصل عنه فانفصل، فكأنه على صلةٍ به فانفصَلَ عنه، ومنعتُ الدابة عن السير، أي: فصلتها عنه بالوقف بعد ان كانت متصلة به، ومنعت الرجل عن الكلام، اي: حبست صوته بعد تخلية، وقيدتُ لسانه بعد ان كان طليقا، فسكتَ بعد تكلُّم.

ولذا، استعمل اسلافنا الكرام هاتين الكلمتين للدلالة على معنى واحد أو على معنيين متقاربين، فقالوا: الوقف والابتداء، والقطع والائتناف أو الاستئناف[40].

أما الوقف من حيث كونه علما من علوم القرآن فهو: تعمُّدُ السكوت بحبس الصوتِ وعدم وصل النطق به لعلل اعرابية نحوية او اسباب معنوية تفسيرية في اثناء الكلام او القراءة اعتمادا على تمام المعَنى لانتهاء العبارة.

وهذه الامور (اعني: العلل الاعرابية والاسباب المعنوية وتمام المَعنى وانتهاء العبارة) مرتبطة ارتباطا وثيقا، بل قائمة على ماللعربية من خصائص ومميزات لا توجد في غيرها من اللغات، بها يتم فهمُ العبارات وتُعرفُ معاني الكلمات وتدرك الالفاظ والمدلولات، نهضت بها جميعا علوم العربية والقرآن صيانة لكتاب الله وفهما لآياتهِ، ولذا صارت معرفة هذا الفن تحتاج الى كثير من هذه العلوم كالنحو وتقديراتهِ والقراءات واحتجاجاتها والتفسير وما يتصل به والقصص وتلخيص بعضها من بعض واللغة التي نزل بها القرآن الكريم، والفقه واختلاف الفقهاء في احكام القرآن، وقواعد المتكلمين وغير ذلك[41].

وعلى هذا عُدَّ الوقف والابتداء علما جليلا من علوم القرآن له اهميته البالغة في تلاوة القرآن وكيفية ادائهِ، لصلتِهِ الوثيقة بتبيُّنِ معاني الآيات القرآنية تفسيرا وتأويلا ومايتبع ذلك من استنباطات غزيرة وحرص على تجنبِ الخطأ وأمن

---

[40] ذهب الاقدمون الى ان الوقف والقطع والسكت بمعنى، وفرَّقَ المتأخرون تفريقا لطيفا، فقالوا: القطع: عبارة عن قطع القراءة رأساً فهو كالانتهاء، فالقارئ به كالمُعرض عن القراءة والمنتقل الى حالة اخرى غيرها، والوقف: عبارة عن قطع الصوت عن الكلمة زمناً يتنفسُ فيه عادة بنية استئناف القراءة لا بنية الاعراض، والسكت: عبارة عن قطع الصوت زمنا هو دون زمن الوقف عادة من غير تنفس: ينظر: النشر ٢٣٩/١-٢٤٠، الاتقان ٢٤٣/١-٢٤٤، منار الهدى: ٦.

[41] ينظر: القطع والإئتناف ٩٤، البرهان في علوم القرآن ٣٤٣/١، الاتقان ٢٤١/١- ٢٤٣.

اللبس واحتراز الوقوع في المشكلات [٤٢] ولذلك حَضَّ الأئمة على تعلمه ومعرفته، ونصوا على ان معرفته من تمام معرفة القرآن [٤٣]. وهو علمٌ، كما يقول النحاس، " يحتاج اليه جميعُ المسلمين لانهم لابد لهم من قراءة القرآن.. على اللغة التي انزله الله جل وعز بها وهو فضلها ومدحها.." [٤٤]. ويبدو ان الاهتمام بهذا العلم ومعرفته وصلت عند الصحابة الى حد التناصح بينهم بضرورةِ أن يقف المتعلم على مايحتاج اليه من القطع ومابنبغي ان يستأتف به، وكانوا، رضوان الله عليهم، " يتجنبون قي قراءتهم القطع على الكلام الذي يتصل بعضهُ ببعض ويتعلق آخره بأوله " [٤٥].

وهذا كله قائم على التفريق بين المعاني تفريقا يصل بالقارئ الى مستوى من الفهم يمكِّنهُ من تحديد موضع الوقف ونوعِهِ ان كان وقفا تاما او كافيا او حسنا او قبيحا [٤٦] ومعنى النص ومفهومه يتغَّيَّرُ بتغيّرِ مواضع الوقف على حسب صلتها بالعلوم الاخرى آنفة الذكر، فقد يكون الوَقفُ تاما على تفسير غير تام على اخر، وكذلك بالنسبة الى الاعرابِ والقراءة، أي ان مواضعه تختلف باختلاف اسبابه وعلله، ولذا ينبغي لقارئ القرآن اذا قرأ " أن يتفهم مايقرأ ويشغل قلبه به، ويتفقد القطع والائتناف، ويحرص على أن يُفهِمَ المُستمِعينَ في

---

[٤٢] ينظر: البرهان في علوم القرآن ١/٣٤٢.

[٤٣] ينظر: الاتقان في علوم القرآن ١/٢٣٠.

[٤٤] القطع والائتناف: ٧٤.

[٤٥] ينظر: المكتفى في الوقف والابتداه ١٠، وفي الاتقان ١/٢٤٣ " لأئمة القراء مذاهب في الوقف والابتداء فنافع كان يراعي محاسنها بحسب المعنى، وابن كثير وحمزة حيث ينقطع النفس، وعاصم والكسائي حيث تم الكلام، وابوعمرو يتعمد رؤوس الآية ويقول: هو أحبّ اليَّ فقد قال بعضُهم: أنَّ الوقف عليه سنة " وينظر: النشر ١/٢٣٨.

[٤٦] الوقف التام: هو الذي يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده، لعدم تعلق مابعده بِهِ، والوقف الكافي: هو الذي يحسن الوقف عليه ايضا، والابتداء بما بعدهُ وأن كان مابعده متعلقا من جهة المعنى دون اللفظ. والوقف الحسن: هو الذي يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده لتعلقِهِ بِهِ من جهتي اللفظ والمعنى، والوقف القبيح: هو الذي لا يعرفُ المراد منه، ولذا يُنهى عنهُ ويُنكَرُ الا لانقطاعِ نفسٍ ضرورة ثم الرجوع الى ماقبله ليصله بما بعده، يُنظر في ذلك: ايضاح الوقف والابتداء ١٤٩، المكتفى في الوقف والابتداء ١٠٧-١١١، البرهان في علوم القرآن ١/٣٥ ومابعدها، النشر ١/٢٢٦-٢٣٠، الاتقان ١/٢٣٣.

الصَّلاةِ وغيرها، وان يكون وقفُهُ عند كلام مستغنٍ أو شبيهٍ، وأن يكون ابتداؤهُ حسنا.." [47].

تَعَانُقُ ألوَقْفِ

فان كان الكلام له مقطعان، اذا وُقف على الاول وجب الوصل في الثاني، واذا وُصِل في الاول وجب الوقف على الثاني سُمّيَ وقفا معانقا أو تعانُق وقفٍ. من العِناق والمعانقة، يُقالُ: عانقه معانقةً اذا جعل يديه على عُنقه وضمهُ الى نفسِهِ وتعانقا واعتنقا [48]. وجاء القومُ عنقا واحدا، اذا جاءوا يتبعُ بعضُهم بعضا، وعانقت الرّجل معانقةً وعناقا اذا التزمته فادنيت عنقكَ من عنقه [49].وهذا يعني ان الالتزام والتتابع والتقارب والتداني بين المقطعين في الكلام او الآية لا يتحقق الوقف على احدهما دون الآخر الا بتوفر هذه الامور مجتمعة لتمنع جواز الوقف على المقطعين معا فيضطرب المعنى اضطرابا يُخل بالفصاحة، اذ الوقف تابع للمعنى، ذلك لأن المقطع الاول يتصل بما قبله اذا وُقِفَ عليه، ويتصل المقطع الثاني بما بعده، واذا وُقِفَ على المقطع الثاني اتصل بالاول وانقطع عما بعده. أما اذا وُقِفَ على الاول فأتّصل بما قبله ثم وُقِفَ على الثاني فقد انقطع عما قبله وعما بعده فيضطربُ المعنى، لأنَّ المقطع الثاني سيكون، والحالةُ هذه، لغوا زائدا وحشوا لا معنى لَهُ ولا مُسَوَّغ لاثباتِهِ، والى هذا اشار الزركشي بقوله " من خواص الوقف التام المراقبة وهو ان يكون الكلامُ له مقطعان على البدل، كل واحد منهما اذا فرضَ فيه الوقف به وجب الوصل في الآخر، واذا فُرضَ فيه الوصلُ وجبَ الوقف على الآخر " [50]، وأوضَحَ الجزري ذلك بقوله: " قد يجيزون الوقف على حرف، ويجيز آخرون الوقف على أخر، ويكون بين الوقفين مراقبة على التضاد، فاذا وقف على احدهما امتنع الوقف على الآخر، كمن أجاز الوقف على " لا ريب" فأنه لا يجيزهُ على "فيه" " [51].

---

[47] القطع والائتناف ٩٧.

[48] يُنظر: الصحاح (عنق) وفرق الخيل بين الاعتناق والمعانقة فجعل المعانقة في حال المودة والاعتناق في احرب ونحوها وتقول: اعتنقوا في الحرب ولا تقول: تعانقوا والقياس واحد: العين ١/١٦٨.

[49] ينظر: جمهرة الغة ٩٤٢.

[50] البرهان في علوم القرآن ١/٣٦٥.

[51] النشر في القراءات العشر ١/٢٣٧، وينظر الاتقان ١/٢٤١.

وهذا النوع من الوقف قليل في القرآن، ومواطنه لا تكادُ تتجاوز العشرة عدًّا، اثنان في البقرة، واثنان في المائدة، وواحد في كُلّ من آل عمران والاعراف وابراهيم والقصص والاحزاب، وسنقف، في بحثنا هذا، ان شاء الله تعالى، عند كُلٍّ موطن من مواطنه ونتأمل كلَّ موضع من مواضعه معانقين الآيات التي تنتظمه ممعنين، النظر فيها من جانبي المعنى قراءة وتفسيرا، والنحو اعرابا وحكما، سائلين المولى عزّ وجّل أن يُلهمَنا الصواب ويجنبنا الزلل في القول والعمل، ويجعل عملنا خالصا لوجهه الكريم انه هُوَ البرُّ الرَّحيم.

أَلمَوضِعُ الأَوَّلُ

في الآية الثانية من سورة البقرة تعانق الوقف عند " ريب " و " فيه " في قوله تعالى ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾ والعلماء (قراء ونحاة) في هذين الوقفين فريقان: فريق يقف على " ريب " ثم يبتدئ مسأنفا بـ " فيه "، وفريق يقف على " فيه " ويبتدئ بـ " هدىً للمتقين "، وللآية معَ كل من هذين الوقفين وجوهٌ من الاعرابِ والمعنى ستقف عند أهمها ونبسط القول فيها ان ساء الله تعالى.

١ .الوقف على " ريب " أي: ﴿ذلك الكتاب لا ريب﴾ فـ " ذلك " مبتدأ و " الكتاب " خبرهُ و " لا " نافية للجنس و " ريب " اسمها، أما خبرها فمحذوف، على سنن العربِ في كلامهم، للعلم بهِ، ولا خلاف في جواز حذفِهِ بكثرة عند الحجازيين، اذا عُلِمَ او دَلَّ عليه دليل [٥٢] فضلاً عنْ كون حذفِهِ واجباً، والحالة هذه، عند بني تميم والطائيين من العرب [٥٣] والى هذا أشار ابن مالك بقوله [٥٤]:

وشاع في ذا البابِ اسقاط الخبر
إذا المرادُ مَعْ سقوطِهِ ظَهَر

ومن نظائر " لا ريب " في حذف خبر " لا " قوله تعالى ﴿قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون﴾ [٥٥] أي لا ضير علينا [٥٦]، وقوله ﴿ولو ترى اذ فزعوا فلا فوتَ وأخذوا من مكانٍ قريب﴾ [٥٧]، أي: لا فوتَ لهم [٥٨].ومنه ايضا، كلمة التوحيد " لا إلهَ إلا

---

[٥٢] فان لم يدل على خبر " لا " دليل لم يَجُزْ حذفُهُ عند الجميع نحو قوله)" لا احدَ أغيرُ من اللهِ " و " أغير " خبر لا ولو حُذِف لما عُلمَ. ينظر: شرح ابن عقيل ١/٤١٣.

[٥٣] ينظر: الكتاب ٢/٢٧٥،٢٧٩-٢٨٠، المقتضب ٢/١٥١،٤/٤٢٦، تسهيل الفوائد ٦٧، شرح ابن عقيل ١/٤١٣، مغني اللبيب ٣١٥، الفوائد الضيائية ١/٣٠٣.

[٥٤] شرح ابن عقيل ١/٤١٢.

[٥٥] الشعراء ٥٠.

[٥٦] ينظر: مغني اللبيب ٣١٣،٣١٥.

[٥٧] سبأ ٥١.

[٥٨] ينظر: مغني اللبيب ٣١٣،٣١٥.

الله " أي: لا إله موجود، وقول العرب " لا بأس " و " لا بـراح " أي: لا بـأس عليك ولا براح لك [٥٩] فاضمروا خبر لا النافية للجنس.

وعلى هذا فالواقف على " ريب " لابُدَّ من أن ينوي خبراً لـ " لا "، والتقديـر " لا ريب فيه "، فيه هدى للمتقين " [٦٠] فـ " فيه " المحذوف أو المضمر، يعود على الكتاب، وبتقديره يتضح المعنى. ولعدم وجود نظير لهذا الوقف [٦١]، ولان بعض النحاة [٦٢] يشترط لصحته صحة الوقف علـى نظـير لـه، قبـل، لا يوقـف علـى " ريب " ولا بدَّ من ذكر العـائد المحـذوف وهـو" فيـه ". وهـذا تعسـف وتمحـل، لكون حذف خبر " لا " أو اضمارهُ، اذا عُلمَ، صحيحا في العربية وشائعا وغـير بعيد في القياس على ماذكرنا آنفا، هذا فضلا عما روي عن نافع المدني وعـاصم الكوفي، وهما من السبعة، من انهما وقفا على " لا ريب " [٦٣]

ولما كانت " لا " دالة على نفي الحكم عن جنـس اسمهـا " ريـب " وقُصِـدَ بهـا التنصيص على أستغراق النفي لافراد الجنسِ كله [٦٤] كان نفي الريب عن خبرهــا المحذوف العائد الى الكتاب نفيا عاما عَملتَ فيه عمل (إنَّ)، ولكونه مفردا نكرة رُكِّبَ معها وبُنِيَ على ماكان يُنصَبُ به [٦٥]، وعِلـةُ بنائـه تضمنـهُ معنـى " مـن " لتدل " لا " على نفي الجنس، والتقدير: " لا من ريب " [٦٦]. والمعنى على هــذا:

---

[٥٩] ينظر: ايضاح الوقف والابتداء ٤٨٩، المكتفى في الوقف والابتداء ١١٨، فتح القدير ١/٣٣.

[٦٠] ينظر: المكتفى ١١٨، الكشاف ١/٣٤، تفسير البيضاوي ١/١٥، منار الهدى ٢١.

[٦١] أي: لم يرد الوقف على (ريب) في قوله تعالى ﴿تنزيل الكتابِ لا ريبَ فيه من ربِّ العالمين﴾ السجدة ١،٢.

[٦٢] أحمد بن جعفر، ذكر ذلكَ النحاس في (القطع والائتنـاف) ٣١١، والاشمونـي في (منـار الهـدى)٢١، وفي ايضاح الوقف والابتداء ٤٨٨ " وحُكي أن رجلاً من النحويين طعن على هذا المذهب وقال: الوقف علـى " لا ريب " خطأ لان (الكتاب) لا عائد لهُ في صلتِهِ وصفته، ومستحيل أن تخلو الصلة والصفة من عائد على الموصول والموصوف.."

[٦٣] ينظر: القطع والائتناف ١١٣ وفيه " قال نافع " لا ريب " تمام، ورد عليه احمد ابن جعفـر، قـال: " لانـه لابد من عائد، وهذا لا يلزم.." وينظر ايضا: المكتفى ١١٨، الكشاف ١/٣٥، فتح القدير ١/٣٣.

[٦٤] وتمييزا لها من " لا " التي لنفي الوحدة فليست نصا في نفي الحكم عن افراد الجنسِ كله، وانما تحتمل نفيـهُ عن الواحد فقط وعن الجنس كله " النحو الوافي ١/٥٠٧، وينظر: التبيان في اعراب القرآن ١٥.

[٦٥] ينظر: معاني القرآن للأخفش ١/٢٣، تسهيل الفوائد ٦٧.

[٦٦] ينظر: التبيان في اعراب القرآن ١٥ " الا ترى انكَ تقول: لا رجل في الدار، فتنفي الواحد ومـازاد عليـه، فان قلت لا رجلٌ في الدار فرفعت ونوَّنت نفيت الواحد و لم تنفِ مازاد عليه، اذ يجوز ان يكـون فيهـا اثنـان

ان القرآن الكريم بنزوله من عندِ الله تعالى وكونِهِ صفةً مـن صفاتِـهِ سـبحانه: لا شك في انهُ حق يقين لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفـه، وليـس بمظنـةٍ، للشك،وفيهِ من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيثُ لا ينبغي لمرتـاب أن يقـع فيه بوجه من الوجوه، وان وقع للكفار ريب [67].

واذا أعرب " ذلك " مبتدأ و " الكتـاب " صفتـه، كـانت جملـةُ " لا ريـب " في محل رفع خبر ذلك [68] وقال الفراء " اذا اردت بـ " الكتاب " ان يكـون نعتـا لــ "ذلك" كـان الهدى في موضع رفع لانهُ خـبر لــ "ذلـك " كـأنك قلـت: ذلـكَ هدىً لاشك فيه " [69].

والوقف علـــى " ريب " يُوجـبُ استئناف التـلاوة او ابتداءهـا بـ ﴿فيه هدى للمتقين﴾ ولا يُجيزُ الوقف على " فيه " لانَّ " فيه " انقطع عمـا قبلـه " ريـب "، واتصل بما بعده " هدى " ويعرب، على الارجح، خبرا مقدما " شبه جملة " و " هدى " في موضع رفع مبتدأ مؤخرا " [70].

٢. الوقف على " فيه " أي ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ و " فيه " شبه جملـة في موضع رفع خبر " لا " ويتعلق بمحذوف تقديرهُ " لا ريب كائنٌ فيه " [71]

او اكثر.." وينظر ايضا: اعراب القرآن للنحاس ١٢٨/١، البيـان في غريـب اعـراب القـرآن ٤٤/١، تفسير البيضاوي ١٥/١، وفي الفوائد الضيائيـة ٤٣٨/١ " وانما بـني لتضمنـه معنـى (مـن)، اذ معنـى (لا رجـل في الدار): لا من رجل فيها لانه جواب لمن يقول: هل من رجـل في الـدار ؟ حقيقـةً او تقديـراً فحـذف (مـن) تخفيفا ".

[67] ينظر في ذلـك: الكشـاف ٣٧/١، تفسـير القرطبي ١٥٩/١، تفسـير النسـفي ١١/١، تفسـير ابـن كثير ٣٩/١، فتح القدير ٣٣/١.

[68] ينظر: اعراب القـرآن للنحـاس ١٢٨/١، القطـع والائتنـاف ١١٣، ونسـب هـذا الاعـراب الى الاخفـش وحكاه عنه ابو حاتم، مشكل اعراب القرآن ٧٤/١، البيان في غريب اعراب القرآن ٤٤/١، التسهيل لعلـوم التنزيل ٦١/١، فتح القدير ٣٣/١.

[69] معاني القرآن ١١/١.

[70] ينظر: مشكل اعراب القرآن ٧٤/١، البيان في غريب اعراب القرآن ٤٥/١، الكشاف ٣٦/١، التبيان في اعراب القرآن ١٥، البرهـان الكاشـف عـن اعجـاز القـرآن ٢٦٧، التسـهيل لعلـوم التـنزيل ٦١/١، تفسـير البيضاوي ١١٥، فتح القدير ٣٣/١.

[71] اذا كان الخبرُ ظرفا او جارا ومجرورا فانه يتعلق بمحذوف واجب الحذف يُقدَّرُ بـ كـائن او استقر، والى هذا أشار ابن مالك في الفيته بقوله:

و " لا " وخبرها في موضع رفع خبر " ذلك " [٧٢].

وهذا الوقف، أي الوقف على " فيه " هو المشهور والارجح [٧٣] لتعينِ خبر " لا " في هذا الموضع وكل نظائر " لا ريب " في القرآن الكريم وعدَم جواز الوقف او قطع الكلام على " ريب " في جميعها، بل الاجماع هو الوقف على " فيه " كما في قوله تعالى ﴿الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين﴾ [٧٤]، وقوله تعالى ﴿ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه﴾ [٧٥]، وقوله ﴿فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه﴾ [٧٦] قال ابن كثير: " والوقف على قوله تعالى ﴿لا ريب فيه﴾ اولى للآية.. لانه يصير قوله تعالى " هدى" صفة للقرآن، وذلك أبلغ من كون فيه هدى [٧٧].

والوقف على "فيه" يوجب قطعه عما بعده ووصله بما قبله لانهُ خبر "لا" فيكون الوقف عليهِ تاماً. وعلى هذا فـ "هدى للمتقين " يكون مرفوعا على الاستئناف لتمام ماقبله [٧٨] فيعرب مبتدءا والخبرُ محذوف تقديره "فيه" أي: لا ريب فيه فيه هدى [٧٩]

وأخبروا بظرف او بحرف جَر فاوين معنى " كائن " أو " استقر "

شرح ابن عقيل ٢٠٩/١ ومابعدها، وينظر: التبيان في اعراب القرآن ١٥.

[٧٢] ينظر: مشكل اعراب القرآن ٧٤/١، البيان في غريب اعراب القرآن ٤٤/١، التسهيل لعلوم التنزيل ٦١/١.

[٧٣] ينظر: الكشاف ٣٥/١، تفسير النسفي ١١/١/ التسهيل لعلوم التنزيل ٦١/١، مغني اللبيب ٧٧٤، تفسير ابن كثير ٣٩/١، فتح القدير ٣٣/١.

[٧٤] السجدة: ١،٢.

[٧٥] يونس ٧٣.

[٧٦] آل عمران ٢٥، أنظر آل عمران ٩، النساء ٨٧، الانعام ١٢، الاسراء ٩٩، الكهف، ٢١، الحج ٧، غافر ٥٩، الشورى٧، الجاثية ٢٦،٣٢.

[٧٧] تفسير ابن كثير ٣٩/١.

[٧٨] ينظر: معاني القرآن للفراء ١١/١.

[٧٩] ذهب البصريون الى ان الظرف " فيه" لا يرفع المبتدأ اذا تقدم عليه وانما يرتفع بالابتداء وعندهم ايضا ان المبتدأ يرتفع بالابتداء. وذهب الكوفيون الى أن الظرف يرفع الاسم اذا تقدم عليه وعندهم ايضا ان المبتدأ يرفع الخبر والخبر يرفع المبتدأ ينظر في ذلك: الانصاف في مسائل الخلاف ٤٤/١-٥٢ المسألتان ٥و٦، شرح ابن عقيل ٢٠١/١.

أو يعربُ خبراً لمبتدأ محذوف تقديرهُ هو"، أي هدىً للمتقين [٨٠]"، وقد يعرب خبرا ثانيا بعد خبر، أي: ان " ذلك " مبتدأ و " الكتاب " عطف بيان، وجملة " لا ريب فيه " في موضع رفع خبر أول و " هدى "خبر ثان [٨١]، والمعنى: أنه جمع بين كونه لا شك فيه وبين كونهِ هدى [٨٢] أي: جمع الصفتين، وتعدد الخبر للمتبدأ الواحد جائز في العربية واليه أشار ابن مالك بقوله [٨٣]

وأخبروا باثنين او بأكثرا   عن واحد كهم سراة شُعَرا

سواء كان الخبران في معنى خبر واحد نحو " هذا حلو حامض " أي: مُزٌّ، أم لم يكونا كذلك، نحو " زيد قائم ضاحِك ". قال الفراء: " وان جعلت " لا ريب فيه " خبر"، أي خبر ذلك، وَقعتَ ايضا " هدى "، تجعله تابعا لموضع " لا ريب فيه " كما قال الله عز وجل ﴿وهذا كتابٌ انزلناه مبارك﴾ [٨٤] كانه قال: وهذا كتاب وهذا مبارك، وهذا من صفته كذا وكذا " [٨٥]

وبعدُ: فالوقف في الآية إما على " ريب " واما على " فيه " ولا يجوز عليهما معا. فاذا كان على " ريب " فانه تامٌ ان رُفِعَ " هدى " بالابتداء و " فيه " خبره. ويكون كافيا ان جُعل خبر " لا " محذوفا على ماذكرنا من سنن العرب في ذلك. واذا كان الوقف على " فيه " فانه تامٌ ايضا ان جُعل " هدى " مبتدأ مرفوعا بالابتداء وخبره محذوف تقديره " فيه " [٨٦] وكذا اذا جُعل خبرا ثانيا لـ

---

[٨٠] يُنظر: ايضاح الوقف والابتداء ٤٨٧-٤٨٨، القطع والائتناف ١١٣، مجمع البيان ١/٣٥-٣٦، البيان في غريب اعراب القرآن ١/٤٥، التبيان في اعراب القرآن ١٥،التسهيل لعلوم التنزيل ١/٦١، البحر المحيط ١/٣٧.

[٨١] ينظر: مشكل اعراب القرآن ١/٧٤، الكشاف ١/٣٦، مجمع البيان ١/٣٥، البيان في غريب اعراب القرآن ١/٤٥.

[٨٢] اعراب القرآن المنسوب الى الزجاج ١٧١.

[٨٣] شرح ابن عقيل ١/٢٥٦/٢٥٧.

[٨٤] الانعام ٩٢و ١٥٥.

[٨٥] معاني القرآن ١/١١.

[٨٦] هذا على مذهب سيبويه وجمهور البصريين، او مرفوع بالظرف على قول الاخفش والكوفيين. انظر: البيان في غريب اعراب القرآن ١/٤٦.

" ذلك " بمعنى انه جمع بين كونه لاشك فيه وبين كونه هدى [٨٧]. ويكون كافيا ان جُعل " هدى " خبرا لمبتدأ محذوف تقديره " هو " [٨٨].

ويبدو ان الوقف على " فيه " في هذه الآية هو الاولى والأرجَحُ لأنَّ الهدى مع هذا الوقف يكون لازمة للقرآن، أي انَّ القرآن كلَّهُ هُدى، والمعنى، كما قال المبرد، " لاريب فيهِ انه هدى للمتقين " [٨٩] وهذا ابلغ من كون فيه هدى، ولهذا ذهب العلماءُ الى أن هذا الوقف هو المشهور.

---

[٨٧] او انه نفى ان يكون فيه ريب. وانه فيه هدى.

[٨٨] وكذا ان جُعل تابعا لموضع (لا ريب فيه) والمعنى: ذلك الكتاب وذلك هدى.

[٨٩] زاد المسير ١/٢٤.

المَوضِعُ الثّاني

في الآية السادسة والتسعين من سورة البقرة تعانق الوقف عند "حياةٍ" و "والذين أشركوا" في قوله تعالى ﴿ولتجدنّهم أحرصَ الناسِ على حياةٍ ومن الذين أشركوا يودُّ أحدهم لو يُعمَّرُ ألف سنة﴾.

والحديث في الآية عن اليهود بعد ذكر مواقفهم من موسى، عليه السلام، والرُّسل الذين ارسلوا اليهم من بعدِهِ وادعائهم أنهم شعب الله المختار، والآخرةُ انما هي مخصوصة لهم دون سواهم، وقد أخبر سبحانه وتعالى انهم لن يتمنّوا الموت ابدا بسبب ما اقترفوا من ذنوب وارتكبُوا من معاصٍ واجترحوا من سيئات [٩٠] ثم أكدّ جَلَّ وعَزَّ لنبيهِ ﷺ بصيغة القسم أنهم في غايةِ الحرص على الحياة ﴿ولتجدنّهم أحرص الناسِ على حياة ومن الذين أشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة..﴾ فتعانق الوقف او حدثَت المراقبة بين " حياة " و " اشركوا " ولابدّ للقارئ أن يقف عند احد هذين الوقفين دون الآخر.

١. الوقف على " حياة "، أي: ولتجدنهم أحرص الناس على حياة، الواو: واو قسم محذوف، لتجدنهم: اللام واقعة في جوابِ القسم المحذوف، تجدَنَّ: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد، ينصب مفعولين، وفاعله الضمير المستتر فيه المقدر بـ " أنتَ " العائد على محمد ﷺ، والنون: حرف مؤكد مبني على الفتح لا محل له من الاعراب، و " هم " المفعول الاول لـ " تجد " اما المفعول الثاني فـ " أحرص "، وعلى حياة: جار ومجرور، وتنكير " حياة "

---

[٩٠] ﴿قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصةً من دون الناس فتمنَّوا الموت ان كنتم صادقين ولن يتمنوه ابداً بما قدمَت ايديهم والله عليم بالظالمين ولتجدنهم..﴾..

للتحقير [91]، وهناك من قدر انها على حذف مضاف، أي: "على طول حيـاة"[92] أو على حذف صفة، أي: "على حياةٍ طويلةٍ" [93].

قال ابو حيان: "ولو لم يُقدّر حذف لصحَّ المَعنى وهو ان يكون أحرص الناس على مطلق حياة" [94].

والمعنى، على هـذا الوقـف الـذي يجعـل تمـام الكـلام في "حيـاة "، هـو: والله يامحمد لتجدنَّ اليهود أشدَّ الناس حرصا على أحقرِ حياةٍ يُمكِنُ ان تتحقق بـأدنى زمان وأقلّ لُبثٍ في الدّنيا ولو ساعة، ولذا أتى بصيغة أفعل من الحرص مبالغـة في شدةِ طلبهم للبقاء ودوام الحياة، وشدة كراهيتهم للموت " ولو عاشوا علـى أن يزدادوا حياة الى حياتهم وان كان الزائد أقلّ مايصدق عليهِ أسم الحياة " [95].

والوقف على " حياة " يوجبُ استئناف التلاوة بـ " ومن الـذن أشـركوا يـودُّ أحدهم.." ولا يُجيزُ الوقف على " اشـركوا " لانقطاعـه عمـا قبلـه واتصالـه او تعلقه بما بعده، فيكون، والحالـة هـذه، كلامـاً مبتـدأً، والـواو للأستئناف، لأن الكلام قد تم عند قوله ﴿على حياة﴾، ويحتمل المعنى وجهين: احدهما، ومن الذن أشركوا قومٌ أو أناسٌ يَوَدُّ أحدهم لو يعمَّر الف سنة، علـى حـذف الموصـوف " قوم " واقامة الصفة " يود أحدهم " مقامه [96]، وهـذا (أعـني حـذف الموصـوف واقامة الصفة مقامه) باب لطيف في العربية لانَّ الصفة هي الموصـوف في المعنـى [97] وقد أشار الى جواز حذفِ احدهما واقامة الآخر مقامه ابن مالك بقوله:

---

[91] ينظر: زاد المسير ١/١١٦، التفسير الكبير ٣/١٩٢، فتح القدير ١/١١٥.

[92] كقوله تعـالى ﴿إذاً لأذقناكَ ضِعف الحياة وضعف الممات﴾ الاسـراء ٧٤، أي: شعف عـذاب الحيـاة وضعـف عذاب الممات. وقوله تعالى ﴿والى مدينَ أخاهم شعيبا﴾ الاعراف ٨٥، أي: والى أهل مدين: ينظر: شرح ابـن عقيل ٢/٢٠٥ ومغني اللبب ٨١٧-٨١٩.

[93] نحو قوله تعالى ﴿يأخذ كل سفينة غصبا﴾ الكهف ٧٩، أي صالحةٍ، وقولـه ﴿الآنَ جئتَ بالحَق﴾ البقـرة ٧١، أي: الواضح. ينظر:مغني اللبيب ٨١٨-٨١٩.

[94] البحر المحيط ١/٣١٣. .

[95] ينظر:: تفسير الطبري ٢/٣٦٩، زاد المسير ١/١١٦، تفسـير القرطـبي ٢/٣٤، البرهـان الكاشـف ١٣٦، التفسير الكبير ٣/١٩٢، تفسير النسفي ١/٦٣، البحر المحيط ١/٣١٢-٣١٣.

[96] ينظر: معاني القرآن للفراء ١/٦٣، التبيان في اعراب القرآن ٩٥، تفسير القرطبي ٢/٣٤، التفســير الكبـير ٣/١٩٣، التسهيل لعلوم التنزيل ١/٩٥، البحر المحيط ١/٣١٤، تفسير البيضاوي ١/٧١.

[97] المقتصد في شرح الايضاح ٩٠٠.

" ومامِنَ المنعوتِ والنعتِ عُقِل يجوز حذفُهُ، وفي النَّعتِ يَقلْ

أي: يجوز حذفُ الموصوف واقامة الصفة مقامه، اذا دلَّ عليه دليل.." [٩٨]

وذهب ابن جني الى أن هـذا الحـذف انما يكـثُرُ في الشعر دون النثر، لما في الحذف " من الالباس وضد البيان. الا ترى انك اذا قلت: مررت بطويل؛ لم يتعين من ظاهر هذا اللفظ أن الممرور به انسان دون رمح او ثوبٍ او نحو ذلك. واذا كان كذلك كان حذف الموصوف انما هو متى قام الدليل عليهِ او شهدت الحال بهِ. وكلما استُبهِمَ الموصوفُ كان حذفُهُ غيرَ لائق بالحديث " [٩٩]

وعلى هذا فالمعنى يكون اخباراً عـن قوم او أناسٍ مـن المشركين [١٠٠]، غير اليهود، لا يؤمنون بالبعث، ولا بالآخرة يود احدهم لو عاش او بقيَ على قيد الحياة الف سنة، لأنهُ آيس لفناء دنياه وانقضاء ايام حياته. فالضمير (هـم) في احدهم يعود، في هـذا القول، على المشركين الذين لا يؤمنون بالآخرة، وليس على اليهود. وثانيهما: أن " ومن الذين أشركوا " اخبار بان اليهود من المشركين، لانهم قالوا: عزير بن الله [١٠١]، والضمير " هم " في " يود احدهم " يكونُ عائدا على اليهود [١٠٢] .

٢. الوقف على " من الذين أشركوا "، يحتمل وجهين: احدهُما: عطف " الذين أشركوا " على ماقبله " احرص الناس "، أي: ولتجدنَّهم أحرصَ الناس على حياةٍ ومن الذن أشركوا " فالواو في " ومن الذين أشركوا "، على هذا،

---

[٩٨] شرح ابن عقيل ٢٠٥/٢، وينظر: مغني اللبيب ٨١٦-٨١٧، وينظر بتوسع النحو الوافي ٣٩٨/٣ ومابعدها.

[٩٩] الخصائص ٣٦٦/٢.

[١٠٠] قيل: المراد بالذين أشركوا المجوس الذين لا يصدقون بالبعث وكانوا يقولون لملكهم عش ألف فيروز والف مهرجان. وقيل: كان يقول بعضهم لبعض اذا عطس مامعناهُ: عش ألف سنة. وقيل: هم مشركو العرب. وقبل: بل كل مشرك لا يؤمن بالمعاد. تنظر في ذلك كتب التفسير.

[١٠١] التوبة: ٣٠ " وقالت اليهود عزيرٌ بن الله ".

[١٠٢] ينظر: الكشاف ١٦٨/١، البحر المحيط ٣١٤/١، فتح القدير ١٩٥/١؟ وذهب ابو علي الجبائي الى ان قوله ﴿ومن الذين اشركوا﴾ تقديره ﴿ومن اليهود الذين أشركوا مَن يود لو يُعَمر﴾.فحذف مَنْ، وردَّه علي بن عيسى بقوله: هذا غير صحيح لان حذف مَنْ لا يجوز في مثل هذا الموضع كما رده النحاس بقوله " المعنى في الآية لا يحتمل هذا وان كان جائزاً في العربية " .ينظر: مجمع البين ١٦٥/١، اعراب القرآن للنحاس ٢٠٠/١.

حرف عطف وافادت هنا عطف الخاص " الذين اشركوا " على العام " الناس"[103]. وافراد الذن اشركوا بالذكر لشدةِ حرصهم على الحياة وافراط حبهم مما فيه توبيخ عظيمٌ لليهود " لانَّ الذين أشركوا لا يؤمنون بالمعاد ومايعرفون الا الحياة الدنيا فحرصهم عليها لا يُستبعَدُ لانها جنتُهم فاذا زاد عليهم في الحرص ممن له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا بأعظم التوبيخ "[104]. والتقدير، على هذا: ولتجدنهم أحرص الناس على حياة واحرص من الذين اشركوا على الحياة، فحذف أحرص الثانية لدلالة أحرص الاولى عليها[105]. والضمير " هم " في " احدهم " يعود في هذا القول على " اليهود " أي: يود الواحدُ من اليهود، لكونهم احرص على الحياة من سائر الناس، لو يُعمَّر الفَ سنة[106]، وزاد على حرص المشركين لعلمه بما اعدَّ الله لهم في الآخرةِ من الخزي والهوان الطويل وبأنهم صائرون الى النارِ، فالمشركون لا يعلمون ذلك[107].

وثانيهما: أن " ومن الَذين أشركوا " متصل داخل تحت أفعل التفضيل فيكون من الحمل على المعنى[108] لان " احرص " افعل تفضيل وهي مؤولة بمعنى " من "، ومعنى " احرص الناس " احرص من الناس، فكأنه قال: ولتجدنَّ يامحمد اليهود من بني اسرائيل أحرص من الناس على حياة ومنَ الذين أشركوا[109] فـ " من الذين اشركوا " معطوف على ماقبله بحسب المَعنى.

وعلى هذا، فاذا اعتبرت جملة " ومن الذين اشركوا " متصلة بافعل التفضيل " أحرص "، فلابد من ذكر " من " لأنَّ أحرص الناس جرى على اليهود بدليل الضمير " هم " في " لتجدنهم " العائد على اليهود، فلو تَمَّ العطف بغير تأويل "

---

[103] لانَّ الذين اشركوا من الناس.

[104] التفسير: الكبير ١٩٣/٣، وينظر: الكشاف ١٦٨/١، تفسير النسفي ٦٣/١، التسهيل لعلوم التنزيل ٩٥/١، روح البيان ١٨٥/١.

[105] ينظر: ايضاح الوقف والابتداء ٥٢٤-٥٢٥، القطع والائتناف ١٥٥، اعراب القرآن للنحاس ٢٠٠/١، الكشاف ١٦٨/١، تفسير القرطبي ٣٤/٢، البرهان في علوم القرآن ٣٦٥/١.

[106] ينظر: تفسير القرطبي ٣٤/٢، وذهب الداني الى أن يود احدهم استئناف خبر عن جمعهم (أي: اليهود والذين اشركوا) ينظر: المكتفى في الوقف والابتداء ١٢٤.

[107] ينظر: تفسير الطبري ٣٦٩/٢، الكشاف ١٦٨/١.

[108] البحر المحيط ٣١٣/١.

[109] تفسير الطبري ٣٢٩/٢، وينظر: اعراب القرآن المنسوب الى الزجاج ٢٨٩، روح البيان ١٨٥/١.

من " لكان " من الذين اشركوا " معطوفا على الناس، فيكون المَعنى: ولتجدنهم احرص الذين اشركوا فيكون أفعل التفضيل، والحالة هذه، مضافا الى غير ماالندرج تحته لانَّ اليهود ليسوا من المشركين الذين فسر بهم الذين اشركوا هنا[١١٠]. وجاء في مجمع البيان " وقيل انما دخلت من في قوله " ومن الذين اشركوا " و لم يدخل في قوله " احرص الناس " لانهم بعض الناس، والاضافة في باب أفعل لا تكون الا كذلك، تقول: الياقوت أفضلُ الحجارةِ ولا تقول الياقوت أفضل الزجاج، بل تقول: أفضلُ من الزجاج فلذلك قال: " من الذين أشركوا لان اليهود ليسوا هم بعض المجوس وهم بعض الناس "[١١١] والمعنى: ان اليهود احرص على الحياة من الناس الذن في زمانهم وأحرص من الذين اشركوا وهم (المجوس ومَن لا يؤمن بالبعث)، ويكون " يود احدهم " حالاً من الذين اشركوا تقديره: وادًّا احدهم، او حالاً من الهاء والميم في " ولتجدنهم " أي: ولتجدنهم أحرص الناس وادًّا احدهم[١١٢].

وبعد فالوقف في هذه الآية اما على "حياة " واما على " أشركوا " ولا يجوز عليهما. فاذا كان على " حياة " فـ تامٌ عند نافع ان جُعل " ومن الذين اشركوا " متعلقا بما بعده لانه إما اخبارٌ عن قوم من المشركين يودون طول الحياة، على حذف الموصوف " قوم " واقامة الصفة " يود " مقامه، واما على أن " يود احدهم " جملة في موضع الحال من قوله " ومن الذين اشركوا ". واذا كان على " أشركوا " فتام ان جُعل معطوفا على ماقبله، أي " واحرص من الذين اشركوا " أو محمولا على معناه. وذهب ابوعمرو وابوحاتم الى انه كاف[١١٣]. ونص النحاس على أن " هذا، أي الوقف على " الذين اشركوا " هو قول أهل التأويل واهل اللغة والقراءات الا نافعا "[١١٤] أي: اختار الوقف على "حياة " على مابينا آنفا.

---

[١١٠] البحر المحيط ٣١٢/١، وينظر تفسير الطبري ٣٦٩/٢.

[١١١] مجمع البيان ٦٥/١.

[١١٢] التبيان في اعراب القرآن ٩٥.

[١١٣] ينظر: المكتفى في الوقف والابتداء ١٢٤، القطع والائتناف ١٥٤، منار الهدى ٣٧.

[١١٤] القطع والائتناف ١٥٥.

ولما كان الوقف على "حياة " مرجوحا بالوقف على " أشركوا " لكونه اختيار الجمهور فهوَ الاولى، لان الكلام في الآية انما هو في شأن اليهود ولا يتحقق الا بالوقف على " اشركوا" في حين يخرج الكلام عنهم بالوقف على " حياة " [115] ولذا قال الإمامُ الرازي ".. فالاليق بالظاهر أن يكون المراد: ولتجدنَّ اليهود احرص على الحياة من سائر الناس ومن الذين اشركوا ليكون ذلك ابلغ في ابطال دعواهم وفي اظهار كذبهم في قولهم، ان الدار الآخرة لنا لا لغيرنا " [116].

والذي يبدو لي أن الابتداء بـ " ومن الذين أشركوا " بعد الوقف على "حياة " اذا كان اخبارا بان اليهود من الذين اشركوا لقولهم عزير بن الله، والضمير في "يود احدهم " يعود عليهم، فلا فرق في المَعنى بين الوقفين.

---

[115] يُنظر: التسهيل لعلوم التنزيل ١/٩٥.

[116] التفسير الكبير ٣/١٩٣.

المَوْضِعُ الثَّالِثُ

في الآية السابعة من سورة آل عمران عند "لا يعلم تأويله الا الله " و " الراسخون في العلمِ " في قوله تعالى ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأُخَرُ متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ومايعلم تأويله الا الله والراسخون في العلمِ يقولون آمنا به كلٌ من عند ربِنا ومايذكر الا أولوا الالباب﴾.

ومدار المراقبة بين هذين الوقفين هو قوله ﴿والراسخون في العلم﴾ أيُعَدُّ معطوفا على لفظ الجلالة " الله " فيكون تمام الكلام والوقف عنده، أم يُعَدُّ مسأنفاً مرفوعاً بالابتداء فيكون الوقف عند لفظ الجلالة ؟؟ هذا ماسنبسط القول فيه.

١ .الوقف عند لفظ الجلالة " الله ": ﴿ومايعلم تأويله الا الله﴾ أي أن علم تأويل المتشابه منحصر بالله سبحانه وتعالى وحده مقصور عليه محجوب عن الناس، كلّ الناس، بما فيهم الراسخون في العلم. وقد استدل القائلون بهذا الوقف ومايتبعه من معنى بقراءة ابن عباس وابي بن كعبٍ وطاووس لهذه الآية " ويقول الراسخون في العلم آمنا به " [١١٧]، وبقراءة عبد الله بن مسعود ((ان تأويله الا عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به)) [١١٨] ولذا عُدَّ هذا الوقف تاماً [١١٩] وهو المختار عند السلف، كعائشة وابن مسعود وابي بن كعب وابن عباس ﷺ، وعروة بن الزبير وقتادة وعمر بن عبدالعزيز وابي واكثر اهل الحديث وبه قال نافع والكسائي ويعقوب الحضرمي والاخفش وابو عبيدة والفراء وابو حاتم وثعلب وابن الانباري وسواهم من أئمة العربية [١٢٠]. وعليه يكون "والراسخون " مستأنفا منقطعا عما قبله غير معطوف عليه، يُعرب مبتدأ وجملة " يقولون " في موضع رفعٍ خبره، والمعنى: ان الراسخين ابتدِئ الخبرُ عنهم بانهم لا يعلمون

---

[١١٧] تنظر هذه القراءة في: معاني القرآن للفراء ١٩١/١، تفسير الطبري ٢٠٢/٦، اعراب القرآن للنحاس ٣٠١/١، مشكل اعراب القرآن ١٤٩/١، الكشاف ٣٣٩/١، البيان في غريب اعراب القرآن ١٩٢/١، زاد المسير ٣٥٤/١، البحر المحيط ٣٨٤/٢.

[١١٨] تنظر المصادر السابقة والنشر في القراءات العشر ٢٢٧/١ ومعجم القراءات القرآنية ٧/٢.

[١١٩] الاتقان في علوم القرآن ٢٣٤/١.

[١٢٠] تنظر المصادر السابقة والتبيان في اعراب القرآن ٢٣٩، أمالي المرتضى ٩٦/٢، منار الهدى ٥٨-٥٩.

تأويله بل يُؤمنون به، وعن عائشة،رضى الله عنها، قالت: "ومن رسوخهم في العلم ان آمنوا بمُحكمه ومتشابهة و لم يعلموا تأويله " [١٢١].

وذهب الشريف المرتضى الى ان المَعنى على هذا الوقف قد يكونُ " وما يعلم تأويل المتشابه بعينهِ وعلى سبيل التفصيل الا الله.. لان اكثر المتشابه قد يحتمل الوجوه الكثيرة المطابقة للحق الموافقة لأدلة العقول فيذكر المتأول جميعا ولا يقطع على مراد الله منها يعينه لان الذي يلزم مثل ذلك أن يعلم في الجملة ان لا يرد من المعنى ما يخالفُ الادلة وان قد اراد بعض الوجوه المذكورة المتساوية في الجواز والموافقة للحق، وليس في تكليفنا ان نعلم المراد بعينه، وهذا مثل الضلال والهُدى الّذين تبين احتمالهما لوجوه كثيرة منها مايخالف الحق فنقطعُ على انه تعالى لم يُرِدْهُ، ومنها وجوهٌ تطابق الحقَّ فنعلم في الجملة انه قد اراد احدها ولا نعلم المراد منها بعينِهِ.. " [١٢٢].

٢. الوقف على " والراسخون في العلم "، أي: لا يعلم تأويلَه الا الله والراسخون في العلم، فالراسخون مرفوع بالعطف على " الله "، فكأنه قال: لا يعلم تأويله الا الله والا الراسخون، او لا يعلم تأويله الا الله ويعلمه الراسخون [١٢٣]. فهم يعلمون المتشابه ولذلك وصفهم الله تعالى بالرسوخ في العلم ومدحهم، ولو كانوا جهالا بمعرفة المتشابه لما وُصِفوا بالرسوخ في العلم [١٢٤]. وعلى هذا تكون جملة " يقولون آمنا به " لا ابتداء لها وهي في موضع نصبٍ على الحال، أي: انهم مع علمهم بالمتشابه " يقولون آمنا به " فهي توضيح لحال الراسخين، والمعنى: " انهم يعلمونه قائلين آمنا كل من عند ربنا، وهذا في غاية المدح لهم، لانهم اذا علموا ذلك بقلوبهم وأظهروا التصديق بهِ على ألسنتهم فقد تكاملت مدحتهم ووصفهم باداء الواجب عليهم " [١٢٥].

---

[١٢١] تفسير الطبري ٦/٢٠٢.

[١٢٢] أمالي المرتضى ٢/٩٧.

[١٢٣] ينظر: تفسير الطبري ٦/٢٠٤، أمالي المرتضى ٢/٩٤، البيان في غريب اعراب القرآن ١/١٩٢.

[١٢٤] ينظر: اعراب القرآن للنحاس ١/٣١٠، مشكل اعراب القرآن ١/١٤٩.

[١٢٥] أمالي المرتضى ٢/٩٤، وينظر: ايضاح الوقف والابتداء ٥٦٦.

وذهب ابن الانباري الى انه لا يتم الوقف على (في العلم) لانَّ الراسخين مرفوعون بما عاد من (يقولون) ولا يحسن الوقف على المرفوع دون الرافع [١٢٦].

والذين اختاروا هذا الوقف [١٢٧] قد استدلوا عليه بجملةٍ امور منها، قول ابن عباس، ﷺ " أنا ممن يعلم تأويله " وقول مجاهد " والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا به " [١٢٨]، وقالوا " ان الله تعالى لم يُنزِل شيئا من القرآن الا لينتفع به عباده ويدل على معنى أراده.. " [١٢٩]، وقالوا في القراءة المروية عن ابن عباس، والتي تنفي ماذهبوا اليه: " إن صَحَّت فليس فيها حجة لمن قال الراسخون في العلم لا يعلمون تأويله، ويكون تقديره: ومايعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم ويقول الراسخون في العلم آمنا به، فاظهر ضمير الراسخين ليبين المعنى " [١٣٠].. الخ. وهذا كله لا يرقى الى درجة الاقناع واليقين ويبعد بالآية عن المعنى الحقيقي للفظه " تأويله "، اذ التأويل غير التفسير، وهم لم يفرقوا بينهما فوقعوا في الوهم وذهبوا الى أن العلماء والمفسرين كانوا ومازالوا الى يومنا هذا يفسرون كلَّ آية و لم يقفوا عن شئ من القرآن و لم يقولوا هذا متشابه لا يعلمه الا الله.

ومن الذين نبهوا على وَهمهم هذا، الاستاذ عبدالكريم الخطيب، والقول في هذه المسألة ماقاله وأثبته، فقد فطن الى قضيتين ؛

الاولى: ان التأويل، كما جاء في القرآن الكريم، لا يكون الا في مواجهة الامور المغلقة كالاحلام، وأضغاث الاحلام مستدلا على ذلك بقوله تعالى على لسان يوسف، عليه السلام، ﴿ياأبتِ هذا تأويلُ رؤياي من قبل..﴾ [١٣١]،

---

[١٢٦] ايضاح الوقف والابتداء ٥٦٦، وفي أمالي المرتضى ٩٦/٢ " ويمكن ايضا على هذا الوجه مع عطف الراسخين على ماتقدم.. أن يكون " يقولون آمنا به " استئناف جملة استغنى فيها عن حرف العطف كما استغنى في قوله ﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم..﴾.

[١٢٧] مجاهد والربيع بن أنس وابن قتيبة وابو سليمان الدمشقي والنحاس وابو طالب القيسي والزمخشري والعكبري وابن الحاجب.. ينظر: تفسير الطبري ٢٠٣/٦، اعراب القرآن للنحاس ٣١٠/١، مشكل اعراب القرآن ١٤٩/١، الكشاف ٣٣٨/١، زاد المسير ٣٥٤/١، التفسير الكبير ١٧٦/٦، النشر ٢٢٧/١.

[١٢٨] تنظر المصادر السابقة.

[١٢٩] روح البيان ٦/٢.

[١٣٠] ينظر: ايضاح الوقف والابتداء ٥٦٦، اعراب القرآن للنحاس، مشكل اعراب القرآن ١٤٩/١.

[١٣١] يوسف ١٠٠.

وقولـه: ﴿نبئنا بتأويله..﴾ [١٣٢] و ﴿أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون﴾ [١٣٣]، وعلـى هـذا فالتأويل هو فك طلاسم ورموز يقف الناس جميعا أمامهـا حـائرين ويقـول فيهـا كل انسان بقول، وينظر كل ناظر اليها بنظر... وهيهات أن يلتقي قول بقـول، أو يقع نظـر على نظر، فكل مايُقال فيهـا هـو رجـم بـالغيب الا مـن علَّمَهُ الله تأويل الأحاديث [١٣٤].

والثانية: ان المتشابه في هذه الآية هو تلك الاحرف المتقطعة التي تبدأ بها سور البقرة وآل عمران والاعراف و..الخ، فهذه الاحرف هي التي يقف امامها دارس القـرآن حـائراً لا يـدري لهـا مفهومـا الا ان يكـون ذلـك بضـرب مـن الحـدس والتخمين، ولهذا كثرت فيهـا تـأويلات المتـأولين.. وكـل الاقـوال هـي اجتهـاد شخصي كالحدس عن شئ داخل صندوق مغلق، ولهذا كـان أعـدل قـولٍ فيهـا وأصدقه هو القول: " والله اعلم بمراده "، فما يعلم تأويلها الا الله [١٣٥].

اذن، فالآيات المتشابهة، والتي لا يعلم تأويلها الا الله، هـي كـل ماأستأثر الله تعالى بعلمِهِ وبمعرفة الحكمة فيه من آياتِهِ كالأحرف المقطعة وموعد قيام السـاعة وعدد زبانية جهنم وحقيقة الروح.. وغير ذلك بما لا يعلمه البشـر. وهـذا كلـه يمثل رابع الاوجه التي قام تفسير القرآن الكريم عليها والتي أشار اليها ابن عباس، ﷺ بقوله: " تفسـير القـرآن علـى أربعـة أوجـهٍ، تفسـير لا يسـعُ احـداً جهلـهُ، وتفسير تعرفه العربُ بألسنتها، وتفسير تعلمه العلمـاء، وتفسـير لا يعلمـه الا الله تعالى" [١٣٦]. وهذا الاخيرُ هو الذي تمسك به اهل الزيغ ومرضَى القلـوب ليقولـوا في آياته المتشابهة مايشاؤون ويحملوها من المعاني مـايريدون مـن مقـولات طلبـا منهم لفتنة الناس في دينهم والتلبيس عليهم، ولو كان طلب تأويل هـذا المتشـابه جائزا محموداً لما ذمّهُ الله تعالى بقولـه ﴿فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه﴾

---

[١٣٢] يوسف ٤٥.

[١٣٣] يوسف ٣٦.

[١٣٤] التفسير القرآني للقرآن ٤٠١/٢.

[١٣٥] المصدر السابق ٤٠٣/٢.

[١٣٦] التفسير الكبير ١٧٧/٦.

وصح ان النبي ﷺ، حين قرأ هذه الآية قال: " فاذا رأيتم الذين يجادلون فيه (أي في المتشابه) فهم الذين عنى الله فاحذرهم " [١٣٧].

وبعد: فالوقف عند لفظ الجلالة في هذه الآية هو التَّامُّ الراجح الذي أختاره جمهور السلف، ليكون العلم بتأويل هذا المتشابه مقصورا على الله تعالى وحده، ويكون الابتداءُ بعده بقوله: " والراسخون في العلم يقولون آمنا بهِ كل من عند ربنا " فهم والجاهلون سواء في هذا المتشابه لا يملكون ازاءه الا التَسليم بالعجز، والا أن يقولوا: " آمنا به " على ماهو عليه، لانه هو والمحكم على سواء كل من عند ربنا [١٣٨]، واذا كان هذا هو موقف الراسخين في العلم، فانَّ من السفاهة والحمق والجهل جميعا ان يقول غيرهم مما لا رسوخ له في العلم، غير هذا القول. والا يؤمن ايمان عجز وتسليم كما آمن الراسخون " [١٣٩]

---

[١٣٧] تفسير الطبري ١٨٩/٦، وفي سنن الترمذي ٢٩١/٤، " اذا رأيتم الذين يتبعون ماتشابه منه فأولئك الذين سَمَّاهم الله فاحذروهم ".

[١٣٨] التفسير القرآني للقرآن ٤٠٦.

[١٣٩] نفسه ٤٠٥/٢.

المَوْضِعُ الرَّابِعُ

الموضع الرابع من مواضع تعانق الوقف في القرآن الكريم في الآية السادسة والعشرين من سورة المائدة عند" محرمة عليهم " و " أربعين سنة " في قوله تعالى ﴿قال فأنَهَا محرَمَةُ عليهم اربعين سنةَ يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين﴾.

والآية، بادئ ذي بدء، في شأن اليهود من بني اسرائيل أتباع موسى، عليه السلام، الذين مَنَّ اللهُ عليهم بنعمٍ كثيرة كاغراق عدوهم فرعون وجعلهم ملوك أنفسهم بعد أن كانوا مملوكين لَهُ، وتفضلهِ تعالى عليهم بتظليل الغمام وانزال المَنِّ والسلوى ثم جعله الارضَ المقدسة [140] وهي بيت المقدس في فلسطين سكنا لهم بشترط أن يؤمنوا بالله ويطيعوه ويمتثلوا اوامر رسولهِ ويجاهدوا اهلها المعروفين بعظم الاجسام الموصومين بالجبروت والطغيان، فأبوا ذلك وامتنعوا فشلا وجبناً وجرأةً على الله وعلى رسوله، وبلغت بهم الوقاحة الى حد أن قالوا لموسى، عليه السلام، ﴿إِنا لَن ندخُلَهَا أَبَداً مَادَامُوا فيها فأذهَب أنتَ ورَبُّكَ فقَاتلا إنَا هَاهنَا قَاعدُونَ﴾ [141]، فأحزن ذلك موسى وشكاهم الى الله تعالى فكان حكم الله عليهم أَن قال بحقهم: ﴿فانها محرَمَة عليهم أربعين سنة يتيهون في الارض..﴾.

وقد تضمنت الايةُ عقوبتين تعانق الوقف عندهما، فأَيُّهما أولى بهِ، دون الاخرى؟ هذا ماسنعرفه، ان شاء الله تعالى، من خلال عرضنا للآية الكريمة.

١. الوقف على " محرَّمةٌ عليهم ": وهي خبر إنَّ، أمَّا اسمها فالضمير " ها " المتصلُ بها العائد على الارض المقدسة، وتقدير الكلام فإنَّ الارض المقدسة محرَّمة عليهم، و " هم " في " عليهم " يعود على اليهود الذين قبل لهم أدخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم [142] فقالوا: انا لن ندخلها ابدا ماداموا فيها.. الآية.

---

[140] سميت بالارض المقدسة لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين.

[141] المائدة ٢٤.

[142] الاية ٢١ من المائدة ﴿ياقوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبُوا خاسرين﴾.

وعلى هذا، فالمعنى: ان فلسطين محرَّمةٌ على هؤلاء العصاة، أي محرّم عليهم دخولها وتملكهم اياها وسكناهم فيها تحريما مؤبداً بسبب امتناعهم من قتال الجبارين وعصيانهم اللهَ ورَسولَهُ، لان كتابتها لهم كانت مشروطةً بالايمان والجهاد فلما نكصوا على أدبارهم حُرّمَت عليهم وانقلبوا خاسرين.

وهكذا شأنُها مع العصاة العابثين من اليهود وغير اليهود الى أبدِ الآبدين. فاذا استجابوا لله ولرسولِهِ جاز لهم دخولُها والسكنُ فيها، ولذا لم يدخلها من أولئك الذين حرّمت عليهم الا يوشع وكالب اللذان قالا للعصاة ﴿ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين﴾ [١٤٣]، وهذا يعني انهما كانا مؤمنين صالِحَيْنِ والاول منهما أتتهُ النبوَّة وقام بالأمر بعد موسى، عليه السلام، وافتتح فلسطين بالجيل المؤمن الذي رباهُ موسى على يديه جهادا وعلما وصبرا[١٤٤].

وعلى هذا الوقف يكون استئناف الكلامِ بعدَهُ بـ " أربعين سنةَ يتيهون في الارض " فـ " أربعين " منصوبَ بـ " يتيهونَ "، قال الفراء: " ولو قطعت الكلامَ - أي بالوقف على (عليهم) - فنصبتها، أي: أربعين، بقوله " يتيهون " كان صوابا، ومثله في الكلام [١٤٥]، أن تقول: " لاعطينَّكَ ثوبا ترضَى، تنصبُ الثوبَ بالاعطاء، ولو نصبته بالرّضا تقطعه من الكلام (أي: بالوقف على لاعطينكَ) كان صوابا " [١٤٦]، أي ان " أربعين " ظرف زمان للتيه، و " يتيهون " حال من الهاء والميم في " عليهم " [١٤٧] وهذه هي العقوبة الثانية للعصاة الفاسقين وهي أخف من الاولى لكونها مؤقتة مقيدة بمدة معينة، وتمثلت في أنهم لبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ بين مصر والشام يسيرون كل يوم جادِّين، فكانوا مع شدَّةِ سيرهم يصبحون حيث أمسوا ويُمسون حيث أصبحوا، وظلوا هكذا متحيِّرين

---

[١٤٣] المائدة ٢٣.

[١٤٤] ينظر: تفسير الطبري ١٠/١٩٠-١٩١، مجمع البيان ٢/١٨١، البيان في غربي اعراب القرآن ١/٢٨٩، زاد المسير ٢/٣٢٩، تفسير القرطبي ٦/١٣٠، تفسير النسفي ١/٢٧٩، البحر المحيط ٣/٤٥٨، تفسير أبي السعود ٢/١٩.

[١٤٥] أي: مثل " فانها محرمة عليهم اربعين سنةَ يتيهون في الارض ".

[١٤٦] معاني القرآن ١/٣٠٥.

[١٤٧] ينظر: مشكل اعراب القرآن ١/٢٢٣، تفسير القرطبي ٦/١٣٠.

تائهين جيئةَ وذهابا على غير هدىً حتى مات كُلُّ مَنْ حُرّمت عليهم مِمَّنْ قالوا " انا لن ندخلها ابدا ماداموا فيها.. " [148].

وعلى هذا يكون المعنى المراد: " ان الله سبحانه وتعالى أنزل بهم عقوبتين، الاولى: تحريم الارض المقدسة عليهم ابدا. والثانية: يتيهون في الارض اربعين سنة على نحو ماذكرنا آنفا، او كما قال ابو حيان " يكون اخبارا بانهم لا يدخلونها وانهم مع ذلك يتيهون في الارض أربعين سنة " [149].

٢. الوقف على " أربعين سنة " أي: فانها محرمة عليهم اربعين، فيكون العامل في " اربعين " محرّمة، فـ " اربعين " ظرف زمان للتحريم، ولذا يجب وصل اربعين سنة بـ محرمة عليهم [150]. ومحدد بـ أربعين سنة يظلون تائهين متحيرين، فاذا أنقضت هذه المدة أُذِنَ لمن بقي منهم بالعودة اليها ودخولها والسكن فيها مع ذراريهم.

وعلى هذا الوقف يكون استئناف الكلام بعده بـ " يتيهون في الارض " لبيان كيفية حرمانهم، أي انهم بقوا في تلك الحالة أربعين سنة، فـ " يتيهون " جملة فعلية في موضع نصبٍ على الحال من الهاء والميم في " عليهم " [151]

وبعد: فالاختلاف قائم بين العلماء (قراء ونحويين) في "اربعين " هل هي ظرف لـ "يتيهون" بعده فيكون الوقف معه على " محرّمة عليهم "، أو هي ظرف لـ " محرّمة " قبله فيكون الوقف على " سنة " ؟ فذهب الاكثرون، كما نص على ذلك ابن الجوزي، ومنهم: عكرمة وقتادة والحسن ونافع المدني وأبو حاتم والزجاج والأخفش ويعقوب الحضرمي وابو عمرو الداني وابن كثير [152] الى انها ظرف للتيه، والوقف التمام على " محرّمة عليهم " أي أنَّ التحريم كان ابدا وأن التيه كان أربعين سنة. قال النحاس: " وقد رفع هذا بعضُهم الى ابن عباس

---

[148] تنظر المصادر السابقة والمكتفى ١٦٥، الكشاف ٦٢٢، التسهيل لعلوم التنزيل ٣١١/١، تفسير البيضاوي ٢٧٠/١.

[149] البحر المحيط: ٤٥٨/٣، وينظر المكتفى ١٦٥.

[150] ينظر: مشكل اعراب القرآن ٢٢٣/١، تفسير القرطبي ١٣٠/٦، تفسير النسفي ٢٧٩/١.

[151] ينظر: البيان في غريب أعراب القرآن ٢٨٩/١، التبيان في اعراب القرآن ٤٣١، تفسير ابي السعود ١٩/٢.

[152] ينظر: القطع والائتناف ٢٨٤، المكتفى في الوقف والابتداء ١٦٥، زاد المسير ٣٢٩/٢، تفسير القرطبي ١٢٩/٦، تفسير ابن كثير ٤٠/٢.

انه قال: مات موسى وهارون في التيه و لم يدخل احد ممن كان في التيه مِمَّن جاوز عشرين سنة مدينة الجبارين ولكنه فتحها يوشع بعد موسى وهارون [١٥٣].
وعن الكلبي " لما قالوا " لم ندخلها ابدا، قال الله عز وجل ﴿فأنها محرمةٌ عليهم﴾ ابدا وهم مع هذا يتيهون في الارض أربعين سنةً، قال: فلم يدخلها احدٌ ممن كان مع موسى هلكوا أجمعين في التيه الا رجلين: يوشع بن نون وكالب بن يوقنا"[١٥٤].

وذهب آخرون ومنهم: الربيع بن أنس والسدي ومحمد بن اسحق والفراء الى أنها ظرف للتحريم، أي انها محرَّمةٌ عليهم اربعين سنة [١٥٥]واختار ذلك الطبري وقال: " ذلك لاجماع اهل العلم بأخبار الاولين أن عوج بن عنق قتله موسى ﷺ، فلو كان قَتْلُهُ اياهُ قبل مصيره في التيه، وهو من أعظم الجبارين خَلْقاً، لم تكن بنو اسرائيل تجزع من الجبارين الجزع الذي ظهر منها.."[١٥٦]وحَسَّن هذا الاختيار النحاس بقوله:" والذي قال حسن، ويؤيده انه من قال التمام فانها محرمة عليهم وقال في الكلام تقديم وتأخير والمعنى عنده: يتيهون في الارض اربعين سنة، وسبيل النظر الأينوى بشيء تقديم وتأخير الا بحجّةٍ قاطعةٍ [١٥٧]. وقال ابن الجزي: " العامل في (أربعين) محرّمَةٌ، على الأصح فيجبُ وصلُهُ معه.. لانه بيان لمدة التحريم والتيه " [١٥٨]، في حين خطأ الزجاج من قال بذلك، وقال: " لا يجوز أن ينتصب اربعين بالتحريم لان التفسير جاء انها محرمة عليهم ابداً " [١٥٩].

والذي يبدو لي، كما أسلفت، أن الآية تتضمن عقوبتين لليهود الذين عصوا الله وخالفوا أمره من قوم موسى عليه السلام وأبوا عنادا وجرأة على الله ورسوله الى الحد الذي جعل موسى يشكوهم الى الله متبرئاً منهم بقوله ﴿رب

---

[١٥٣] القطع والائتناف ٢٨٤-٢٨٥.

[١٥٤] المكتفى في الوقف والابتداء ١٦٥.

[١٥٥] ينظر: معاني القرآن للفراء ٣٠٥/١، تفسير الطبري ١٩٠/١٠، القطع والائتناف ٢٨٥، التفسير الكبير ٢٠١/١١، تفسير القرطبي ١٣٠/٦.

[١٥٦] تفسير الطبري ١٩٨/١٠

[١٥٧] القطع والائتناف ٢٨٥.

[١٥٨] التسهيل لعلوم التنزيل ٣١١/١.

[١٥٩] ينظر: مجمع البيان م١٨١/٢، زاد المسير ٣٢٩/٢.

اني لا أملك الا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾ [١٦٠]، فكان الحكم بتحريمها عليهم الى الابد بسبب عصيانهم فضلا عن جعلهم تائهين في الارض حائرين لا يهتدون طريقا لمدة أربعين سنة.

ومما لاشك فيه، ان اليهودية ممهدة للاسلام الذي جاء به محمد ﷺ وفيها بشارات لهم به واشارات اليه وحث على الدخول فيه ليكون ذلك دليلاً على إيمانهم بالله وطاعتهم اياه وامتثالهم لأمرِهِ أو برهانا على عصيانهم اياه وكفرهم به واجترائهم عليه. ومن المعروف ايضاً ان اليهود كانوا ومازالوا أشد الناس عداوة للاسلام والمسلمين على مر العصور وتوالي الاحقاب، وقد أخبر سبحانه نبيه ﷺ في السورة نفسها بذلك فقال بالقسم المؤكد ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا﴾ [١٦١]. والوقائع والاحداث لا تدع مجالا للشك في أنهم كذلك، وهم وراء كل مشكلة تحدث وخلف كل مصيبة تحيق بالمؤمنين، ولذا تُنزَّهُ الارض المقدسة عنهم وتحرَّم عليهم دخولا وسكنا وتملكا. فالاولى أن يكون تمامُ الوقف في هذه الآية عند قوله تعالى ﴿فانها محرمة عليهم﴾ أي: ما داموا على عصيانهم وخبثهم وجرأتهم على الله ورسوله وعداوتهم للمؤمنين.

---

[١٦٠] المائدة ٢٥.

[١٦١] المائدة ٨٢.

أَلمَوْضِعُ الخَامِسُ

في الآية الحادية والاربعين من سورة المائدة ايضا عند " و لم تؤمن قلوبُهم " و " من الذين هادوا " في قوله تعالى ﴿يَاأَيُّها الرَّسولُ لا يَحزُنكَ الذينَ يُسارِعونَ في الكفرِ من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تُؤمن قلوبُهم ومن الذينَ هادوا سمّاعون للكذب﴾.

والآية احدى آيتين في القرآن الكريم خاطب بهما الله تعالى نبيُّه محمدا،ﷺ بعنوان الرّسالة [١٦٢] تشريفا له وتعظيما وتفخيما لقدره، عليه الصلاة والسلام، وفي هذهِ الآية اشعارٌ بما يوجبُ عدم حزنِهِ واهتمامِهِ بأمرِ المسارعين في الكفر الخارجين عن طاعةِ الله ورسوله، المقدِّمين آراءَهُم واهواءَهم على شرائع الله عز وجل، من المنافقين واليهود الذين يتربصّون بهِ وبمن معه الدوائر وينصبون لهم حبائل المكروه، ويكيدون للأسلام وأهلِهِ، فَأَنَّ الله سبحانه وتعالى قد وعدَهُ النصر عليهم والتنكيل بهم.. فالآيةُ، اذن، تأنيسٌ للنبي،ﷺ. وعند تعانق الوقف فيها يختلف التفسير اعرابا ومعنى مع كل مقطع من مقطعيه.

١ .الوقف على " و لم تؤمن قلوبُهم " فتكون التلاوة ﴿لا يُحزِنكَ الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبُهم﴾ أي: لا يحزنك كفرُ المنافقين،، والبَاء في " بأفواههم " متعلقة بـ " قالو "، أي: قالوا بأفواههم آمنا، فـ " آمنا " مفعول قالوا، وجملة " و لم تؤمن قلوبُهم " في محل نصبٍ على الحال[١٦٣].

والمعنى لا يحزنَك المنافقون الذين لم يُضمروا في قلوبهم الايمان كما نطقت به السنتهم [١٦٤].

وعلى هذا الوقف يُستأنفُ الكلام بـ " ومن الذين هادوا " ولا يكون معطوفا على قوله ﴿من الذين قالوا﴾ لانقطاعه منه واتصاله بما بعده (سماعون للكذب)، ويُعرَب (من الذين هادوا) خبرا مقدَّما ومبتدؤه؛: (سماعون للكذب،

---

[١٦٢] الآية الثانية قوله تعالى ﴿يا أيها الرسول بلّغ ما أُنزِل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلّغت رسالتهُ والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ المائدة ٦٧.

[١٦٣] ينظر: الكشاف ٦٣٣/١، التفسير الكبير ٢٣٢/١١، التبيان في اعراب القرآن ٤٣٦، تفسير النسفي ٢٨٣/١، تفسير أبي السعود ٢٧/٢.

[١٦٤] ينظر: اعراب القرآن للنحاس ٤٩٧/١، تفسير القرطبي ١٩١/٦.

وامّا محذوف قامت صفتُه (سماعون) مقامه، والتقدير: ومن اليهود قوم سماعون للكذبِ سماعون لقوم آخرين [165]. وعليه، فالذين قالوا آمنا بأفواههم و لم تؤمن قلوبهم هم المنافقون أو اليهود المنافقون، والسماعون للكذب هم اليهود، وقد أستدل مرجّحُو هذا الوقف بصفة (يحرفون الكلم عن مواضعه) لانَّ التحريف محكيٌّ عن اليهود في هذه الآية وغيرها [166] وكأنهُ صفة لازمة لهم [167]

٢. الوقف على " ومن الذين هادوا "، والتلاوة عليه: لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر ومن الذين قالوا آمنا بافواههم و لم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا، فيكون " ومن الذين هادوا " معطوفا على " من الذين قالوا "، وبه يتم بيان المسارعين في الكفر بتقسيمهم الى: منافقين ويهود [168]. وعليه يُستأنف الكلامُ بـ " سماعون للكذب.. " فيعرب خبرا لمبتدأ محذوف، والتقدير: هم سماعون، ومثله قوله ﴿طوافون عليكم﴾ [169]. أي: هم طوافون [170] والضمير عائد على الفريقين: المنافقين واليهود الذين يمثلون المسارعين في الكفر، أي ان المنافقين واليهود سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين... وَعُدِّيَ الكذبُ باللام، اما على سبيل التقوية للعمل والمبالغة فيه كما في قوله تعالى ﴿للذين هم لربهم يرهبون﴾ [171]. وقوله ﴿ان كنتم للرؤيا تعبرون﴾ [172]، وإما لتضمين السماع معنى القبول، كما يُقال: لا تسمع من فلان، أي: لا تقبل منه، ومنه " سمع الله لمن حمده "أي: قبلَ: فيكون معنى "سماعون للكذب " يقبلون مايفتريه رؤساؤهم من الاحبار وغيرهم ويختلقونه من الكذب على الله تعالى وتحريفِ كتابه والطعن في محمد، ﷺ واما للعلة والمفعول محذوف، أي: يسمعون منكَ اقوالكَ لكي

---

[165] ينظر: مشكل اعراب القرآن ٢٢٦/١، البيان في غريب اعراب القرآن ٢٩١/١، التفسير الكبير ٢٣١/١١، تفسير البيضاوي ٢٧٤/١، تفسير النسفي ٢٨٣/١.

[166] تنظر: النساء ٤٦، المائدة ١٣، البقرة ٧٥.

[167] ينظر، منار الهدى ١٠٠.

[168] ينظر: معاني القرآن للاخفش ٢٥٨/١، التبيان في اعراب القرآن ٤٣٦، البحر المحيط ٤٨٦/٣، تفسير ابي السعود ٢٧/٢، روح البيان ٣٩٣/١.

[169] النور ٥٨.

[170] ينظر: معاني القرآن للفراء ٣٠٩/١، اعراب القرآن للنحاس ٤٥٣/٢ تفسير القرطبي ١٨١/٦.

[171] الاعراف ١٥٤.

[172] يوسف ٤٣.

يكذبوا أومن أجل أن يكذبوا عليك وينقلوا حديثك ويزيدوا على الكلمة اضعافها كذباً[١٧٣]

وبعدُ: فمن العلماء من ذهب الى أن تمام الكلام في هذه الآية عند قوله ﴿من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم﴾ ومعه يكون (الذين يسارعون في الكفر) هم المنافقون او اليهود المنافقون، وقد وصف هذا الوقف بانه حسن أي " لا يحسن الابتداء بما بعده لتعلقه به من جهة اللفظ والمعنى، وقال الداني: كافٍ ورجحَهُ [١٧٤]على أن (سماعون) مبتدأ وماقبله خبره، أي: من الذين هادوا قوم سماعون، على مابينا آنفا. ومنهم من ذهب الى ان الكلام انما تم عند " من الذين هادوا " بجعله نسقا على قوله " من الذين هادوا " ومعه يكونُ (الذين يسارعون في الكفر) هم المنافقين واليهود، لان (من الذين قالوا) و (من الذين هادوا) تبيين وتقسيم لقوله " الذين يسارعون في الكفر ". وقد وُصف هذا الوقف بانه كاف ايضا [١٧٥]لتعلق مابعده به من جهة المعنى دون اللفظ، على أن مابعده ابتداء، أي هم (المنافقون واليهود) سماعون للكذب.

ويبدو من سياق الآية وسبب النزول ان الوقف على " ومن الذين هادوا " هو الارجح، وقد قيل: ان الكلام انّما يتم عنده [١٧٦] لكونه قائما على عطف اليهود على المنافقين واشراكهم في الحكم لاتصافهم بالصفات نفسها واشراكهم في قبول مايفترى على النبي ﷺ، والذين آمنوا معه، ومايُحاك ضدهم، ومايسمعونه منه، عليه الصلاة والسلام، ليكذبوا عليه بمسخ ماسمعوه زيادة ونقصاناً وتبديلاً وتغييرا، وفي كلا الفريقين من المنافقين واليهود من يفعلون ذلك كله وصولا الى مآربهم وتحقيقا لمطامعهم.

---

[١٧٣] ينظر: ايضاح الوقف والابتداء ٦١٩-٦٢٩، الكشاف ٦٣٣،١، البيان في غريب اعراب القرآن ٢٩١/١-٢٩٢، التفسير الكبير ٢٣١/١١، تفسير القرطبي ١٧٧/٦، تفسير البيضاوي ٢٧٤/١، تفسير النسفي ٢٨٣/١، البحر المحيط ٤٨٦/٣.

[١٧٤] ينظر: المكتفى في الوقف والابتداء ١٦٥، منار الهدى ١٠٠.

[١٧٥] ينظر: المكتفى ١٦٥، منار الهدى ١٠٠.

[١٧٦] ينظر: اعراب القرآن للنحاس ٤٩٧/١، التفسير الكبير ٢٣١/١١، تفسير القرطبي ١٧٧/٦.

المَوْضِعُ السَّادِسُ

نجد تعانق الوقف او المراقبة بين " بلى " و " شهدنا " في الآية الثانية والسبعين بعد المئة من سورة الاعراف ﴿واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامةِ انا كنا عن هذا غافلين﴾.

ذهب جمهور المفسرين الى ان الآية من باب التمثيل والتخييل، أي ان ا لله سبحانه وتعالى أوجد بني آدم في الدنيا ثم نصب لهم دلائل وحدانيته وعجائب خلقِهِ وغرائب صنعه، وركب فيهم عقولا وبصائر تميز بين الهدى والضلال والحق والباطل والخير والشر، فاقرّوا لَهُ بالربوبيةِ وشهدوا له بالوحدانية فكأنهُ سبحانه أشهدهم بذلك على انفسهم وقررهم وقال لهم: الستُ بربكم ؟ وكأنهم قالوا بلسان الحال: بلى أنت ربنا. وهذا كله من باب التمثيل والتخييل، اذ نزل تمكينَهم من العلم بربوبيتِهِ بنصب الدلائل لهم وخلقِ الاستعداد فيهم منزلة الاشهاد، ونزل تمكينهم من معرفتها والاقرار بها منزلة الاعتراف فلم يكن هناك أخذ واشهاد وسؤال وجواب [١٧٧].

١ .الوقف على " بلى ": واشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى. أي: بلى أنتَ ربنا والهنا لا رب لنا غيرك، اقرارا له، سبحانه، بالعبودية، لان كل بالغ يعلم ان له ربا واحدا، وفي قولهم " بلى " اجراء للنفي مع التقرير [١٧٨] مجرى النفي المجرد في رده بـ " بلى " ولذلك قال ابن عباس (لو قالوا " نعم " لكفروا)، قال ابن هشام: " ووجهه أن (نعم) تصديق للمخبر بنفي او ايجاب

---

[١٧٧] ينظر: اعراب القرآن للنحاس ١/٦٤٩، الكشاف ٢/١٧٦، التفسير الكبير ١٥/٥٠، الفوائد في مشكل القرآن ٧١، التسهيل لعلوم التنزيل ٢/٩٧، تفسير البيضاوي ١/٣٧٦، تفسير النسفي ٢/٨٥، البحر المحيط ٤/٤٢٠، فتح القدير ٢/٢٦٢، تفسير ابي السعود ٢/٢٠٩، روح البيان ٣/٢٧٣., واجراء الكلام على التمثيل وارد في القرآن والحديث وكلام البلغاء ومنه قوله تعالى ﴿ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض آئتيا طوعا او كرها قالتا أتينا طائعين﴾ فصلت ١١، وقوله تعالى ﴿انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ النحل ٤٠.

[١٧٨] أي: تقرير مابعد النفي ومعناه " حملُكَ المخاطب على الاقرار والاعتراف بأمر قد استقرَّ عنده ثبوتُهُ او نفيه، ويجب ان يليها الشيء الذي تقرر به " ينظر: مغني اللبيب ٢٦.

ولذلك قال الجماعة من الفقهاء: لو قال (اليس لي عليك الف) فقال: " بلى " لزمته، ولو قال " نعم " لم تلزمه "[١٧٩] فتمام الوقف عند " بلى " لان كلام الذرية قد أنقطع هاهنا ثم يستأنف الكلامُ بـ " شهدنا ان تقولوا "، وعلى هذا تكون " شهدنا " خبرا من الله تعالى عن نفسه وملائكته أنهم شهدوا على اقرار بني آدم [١٨٠]، وتكون " أن تقولوا " في موضع نصب على المفعول له، أي لئلا تقولوا او كراهة ان تقولوا " [١٨١] يوم القيامة ماأقررنا. هذا ان كانت "تقولوا " بالتاء، على قراءة العشرة سوى أبي عمرو بن العلاء [١٨٢] لان " أن " متعلقة بـ " شهدنا "، اما اذا كانت بالياء " يقولوا " على قراءة ابي عمرو فلا يتم الوقف على " قالوا " بلى " لان " أن " تكون متعلقة بما قبل " بلى " من قوله ﴿وأشهدهم على أنفسهم﴾ ويكون التقدير وأشهدهم على انفسهم لئلا يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين، والكلام متصل ولا يكون الوقف التام الا عند " وكذلك نفصلُ الآياتِ ولعلّهم يرجعون " أي بعد آيتين [١٨٣].وكذا ان كانت " شهدنا " من كلام الذرية فلا يصح الوقف على " بلى " لتعلق مابعدها بما قبلها لفظا ومعنى [١٨٤].

٢.الوقف على " شهدنا ": أي " قالوا بلى شهدنا " فشهدنا من كلام بني آدم (الذرية). بمعنى: شهدنا على أنفسنا بانك ربنا ولا ربَّ غيرُك، وعلى هذا فـ " أن " بعد شهدنا تكون متعلقة بمحذوف يُبتدأ الكلامُ بهِ بعد الوقف، والتقدير: فعلنا ذلك لئلا تقولوا او كراهة أن تقولوا.. الخ [١٨٥]، فان لم يُقدّر محذوف فلا يجوز الوقف على " شهدنا " لأن " أن تقولوا " المبتدأُ بها بعده تكون متعلقة بما

---

[١٧٩] مغني اللبيب ١٥٤.

[١٨٠] ينظر: زاد المسير ٢٨٥/٣، تفسير القرطبي ٣١٨/٧، التفسير الكبير ٥٢/١٥، وفي مجمع البيان م٢/٤٨٩ " لان الملائكة لم يَجرِ لها ذكر في الاية فيبعد ان يكون اخبارا عنهم ".

[١٨١] البيان في غريب اعراب القرآن ٣٧٩/١، وينظر: القطع والائتناف ٣٧٢، التبيان في اعراب القرآن ٣٠٦، تفسير البيضاوي ٣٧٦/١، تفسير النسفي ٨٥/٢، فتح القدير ٢٦٣/٢.

[١٨٢] ينظر: ارشاد المبتدى وتذكرة المنتهي ٣٤١، النشر ٢٨٣/٢، الاتحاف ٦٩/٢، وفي القطع ٣٧٣ " فعلى هذه القراءة يجب ان يكون الوقف على " بلى ".

[١٨٣] ينظر: القطع والائتناف ٣٧٤، المكتفى ١٨٩-١٩٠، تفسير القرطبي ٣١٨/٧.

[١٨٤] ينظر: منار الهدى ١٢٩.

[١٨٥] ينظر: منار الهدى ١٢٩.

قبل " بلى " من قوله " وأشهدهم على أنفسهم "، وعلى هذا فالكلام متصل ايضا ولا يتم الا عند " ولعلهم يرجعون " كما أسلفنا.

وبعد: فالوقف التام الراجح في هذه الآية على " بلى " إن قُرِئت " أن تقولوا " بالتاء، وهو اختيار الجمهور. والوقف المرجوح على " شهِدنا " لا يصحُّ الا بتقدير محذوف، وهو اختيار الاخفش وابي حاتم واحمد بن موسى [186]، وماعدا ذلك يكون معه الكلام متصلاً بعضه ببعض ولا يجوز الوقف. وذهب ابن الانباري الى ان الوقف على " شهدنا " غلط لان " أن " متعلقة بالكلام الذي قبلها كانه قال: "وأشهدهم على أنفسهم لان لا يقولوا انا كنا عن هذا غافلين " فحذفت " لا " واكتُفي منها بـ (أن) كما قال ﴿يبين الله ان تضلوا﴾[187] معناه " لان لا تضلوا ".. وتمام الكلام على قوله ﴿ولعلهم يرجعون﴾ [188].

---

[186] ينظر: القطع والائتناف ٣٤٣.

[187] النساء: ١٧٦.

[188] ينظر: ايضاح الوقف والابتداء ٦٦٩-٦٧٠.

المَوْضِعُ السَّابِعُ

في الآية الواحدة بعد المئة من سورة التوبة تعانق الوقف او حصلت المراقبة بين " منافقون " و " أهل المدينة " في قوله تعالى ﴿وممَن حولَكُم مِنَ الأعرابِ منافقون ومَن أهل المدينةِ مردوا على النفاق لا تعلمهُم نحن نعلَمهُم سنعذبهم مرتين ثم يُردُّون الى عذابٍ عظيم﴾.

هذه الآية الكريمة واحدة من ست آيات رسمت بجلاء ووضوح احوال العرب الذين سكنُوا المدينة او نزلوا حولها، والاعرابُ هم من سكن البوادي من العرب، فمن أستوطن القرى العربية فهو عربي، ومن نزل البادية فهو اعرابي، ومن المعروف ان الاعراب أقسي قلبا واغلظ طبعا واجفى قولاً وابعد عن سماع كتب الله. وماجاءت بِهِ رسلُهُ من غيرهم، قال تعالى ﴿الاعراب أشَدُّ كفراً ونفاقا﴾[189] ثم بين احوال قسم منهم يُنفقون اموالهم في سبيل الله رياء وتقية " وصولا الى غاية هي التربص بالمؤمنين لاعتقادهم ان هذا الانفاق غرامةٌ وخسران[190]، ولكن القسم الآخر على العكس تماما يؤمنون بالله ورسولِهِ ويتقرَّبون الى اللهِ بما ينفقون كما أنهم يتخذون استغفار الرسولِ، ﷺ ودعاءه لهم قربة عند الله [191]، ثم ذكر تعالى السابقين الاوَّلين من المهاجرين والانصار بأوصافهم الإيمانية وماأعدَّ لهم من النعيم في الدُّنيا والآخرة [192]، ثم يأتي بعد ذلك قوله تعالى ﴿وممن حولكم من الاعراب﴾ الآية.

١.الوقف على " منافقون ": " ومِمَّن حولكم من الاعراب منافقون " أي أن عدداً او جماعة ممن نزلوا حول المدينة موصوفون بالنفاقِ والقبائل التي نزلت حول المدينةِ هي: مزينة وجهينة وأسلم وغفار وأشجع، على ماذكر المفسرون. فـ " ممن حولكم " في محل رفع خبر مقدم و " من الاعراب " في محل نصبٍ على

---

[189] التوبة ٩٧.

[190] التوبة ٩٨، ﴿ومن الاعراب من يتخِذُ ما يُنفِقُ مغرماً ويتربَّصُ بكم الدوائر عليهم دائرة السَوء والله سميع عليم﴾.

[191] التوبة ٩٩ ﴿ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخِذُ ما يُنفِقُ قرباتٍ عند الله وصلوات الرسول الا إنها قربَةٌ لهُم سيُدخلهُم اللهُ في رحمتهِ ان الله غفورٌ رحيم﴾.

[192] التوبة ١٠٠ ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار الذين أتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضُوا عنه واعدَّ لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم﴾.

الحال، و " منافقون " مبتدأ مؤخر، اما جملة " ومن أهل المدينة " المتبدأُ بها بعدَ الوقف فمعطوفة على جملة " ممن حولكم من الاعراب منافقون ". وتعرب خبرا لمبتدأ محذوف قامت صفتُهُ " مردوا " مقامه، لكون الموصوف (قوم) بعضَ ماقبله من المجرور بـ " من " (اهل المدينة)[193]، والتقدير " ومن اهل المدينةِ قوم أو منافقون مردوا على النفاق. أي ان هناك خبرين في جملتين، الاولى: اخبار بان قسما من الاعراب النازلين حول المدينةِ منافقون، والثانية: اخبار بان قوماً من اهل المدينة مرنوا على النفاق وتجرَّدوا لهُ وأقاموا عليه و لم ينثنوا عنه[194]. وقد وُصف هذا الوقف او القطع بانه كافٍ[195] لكون مابعده متعلقا به من جهة المعنى دون اللفظ، و " مردوا " صفةٌ للمنافقين من أهل المدينةِ دون المنافقين من الاعراب.

٢.الوقف على " ومن أهل المدينة ". أي: وممن حولكم من الاعراب ومن أهل المدينة منافقون مردوا على النفاق[196]، فـ " ومن أهل المدينة " خبر معطوف على خبر المبتدأ الذي هو " مَنْ " في قولِهِ " ومِمَّنْ " فيكون المجروران (مَن حولكم من الاعراب) و (أهل المدينة) مُشتَرِكَيْنِ في المبتدأ الذي هو "منافقون ". والمعنى: " وممن حولكم مِن الاعرابِ منافقون مردوا على النفاق ومن أهل المدينة مثل ذلك "[197]، وتعرب " مردوا"، والحالة هذه، صفة للمبتدأ "منافقون " فُصِلَ بينها وبينَهُ بمعطوف على خبره[198]، وهذا، وان كان جائزا في العربية، كما أثبت الزمخشري، لكنه بعيد، قال ابو حيان: " وبعد أن يكون

---

[193] ينظر تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ١٧٠ وفيه " يُقام النعت مقام المنعوت كثيرا ان عُلم جنسُهُ ونُعتَ بغير ظرف وجملة او باحدهما بشرط كون المنعوتِ بعض ماقبله من مجرور بـ " من " او " في " وان لم يكن كذلك لم يقم الظرف والجملة مقامه الا في الشعر ".

[194] ينظر: اعراب القرآن للنحاس ٣٨/٢، الكشاف ٣٠٥/٢، البيان في غريب اعراب القرآن ٤٠٥/١، زاد المسير ٤٩١/٣، التبيان في اعراب القرآن ٦٥٧، تفسير القرطبي ٢٤٠/٨، تفسير النسفي ١٤٢/٢، البحر المحيط ٩٣/٥، الاعراب المنسوب الى الزجاج ٢٩٣، فتح القدير ٣٩٨/٢، تفسير ابي السعود ٢٩٢/٢.

[195] ينظر: القطع والائتناف ٣٦٦، منار الهدى ١٤٣.

[196] ينظر: التفسير الكبير ١٧٣/١٦.

[197] تفسير القرطبي ٢٤٠/٨. وينظر: زاد المسير ٤٩١/٣، البحر المحيط ٩٣/٥.

[198] ينظر: الكشاف ٣٠٥/٢، مجمع البيان م٦٦/٣، التبيان في اعراب القرآن ٦٥٧، تفسير البيضاوي ٤٣٠/١، تفسير ابي السعود ٢٩٢/٢.

مردودا صفة للمبتدأ الذي هو " منافقون " لاجل الفصل بين الصفة والموصوف بالمعطوف على وممن حولكم، فيصير نظير: في الدار زيدٌ وفي القصر العاقل، وقد أجازَهُ الزمخشري تابعا للزجاج "[١٩٩]. والذي يختار هذا الوقف يكون الكلامُ عنده مبتدأ بجملة " مردوا على النفاق " وهي جملة ((مستأنفة لا محل لها من الاعراب مسوقة لبيان غلوهم في النفاق إثر بيان اتصافهم بهِ))[٢٠٠].

وبعد: فالمختار في هذه الآية الوقف على " منافقون " ان جُعِلَ التقديرُ بعده: ومن أهل المدينة قوم مردوا على النفاق، بعطف جملة على جملة. ولا يكون الوقف كافيا بعد هذا في الاية الا عند قوله تعالى ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ الى عذابٍ عظيم﴾ ويبتَدأُ بعده بـ " وآخرون اعترفوا بذنوبهم.. "[٢٠١].

اما الوقف على " ومن اهل المدينةِ " بعطفِهِ، وهو خبر، على خبر المبتدأ الذي قبله " منافقون " وجَعْلِ مردوا بعده جملة في موضع النعت لـ " منافقون " مفصولةً عنه بمعطوف على خبر " منافقون " فجائز[٢٠٢] لكنه بعيد، ولذا فالأوْلى وصلُهُ لما بعده لتعلقِهِ بهِ، وعدم الوقف عليه والاكتفاء بالوقف على " منافقون".

---

[١٩٩] البحر المحيط ٩٣/٥، وينظر الكشاف ٣٠٥/٢.

[٢٠٠] تفسير ابي السعود ٢٩٢/٢.

[٢٠١] التوبة ١٠٢، وينظر: القطع والائتناف ٣٦٦.

[٢٠٢] الوقف الجائز كالحسن، يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده لتعلقه به.

المَوْضِعُ الثَّامِنُ

في الآية التاسعة من سورة ابراهيم حدثت المراقبةُ أو تعانق الوقف عند " ثمود " و " من بعدهم " في قوله تعالى ﴿ألم يأتكم نبؤ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات﴾.

والذي عليه الجمهور ان هذه الاية ابتداءُ خطاب من الله تعالى لاهل عصر نبوة النبي محمد ﷺ، تحذيرا لهم عن مخالفتِهِ على سبيل الاستطراد، وليست من خطاب موسى لقومه كما في الآيات السابقة لها.

١.الوقف على " ثمود ": الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوحٍ وعادٍ وثمود. فـ (قوم نوح وعاد وثمود) بدلٌ من (الذين من قبلكم)، وبه يتم الكلام، ويبتدأ بعده بـ " والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله " [٢٠٣] وهذه الجملة مؤلفة من مبتدأ وخبر متصلين ببعضهما اذ جملة (والذين من بعدهم) في موضع رفع مبتدأ، وجملة (لا يعلمهم الا الله) في موضع رفع خبر [٢٠٤]. وقد وُصفَ هذا الوقف بانه تامٌ او كافٍ [٢٠٥].

٢.الوقف على " والذين من بعدهم " بالعطف على (قوم نوحٍ وعاد وثمود " او على " الذين من قبلكم "، وهي أي جملة (والذين من بعدهم) في موضع خفضٍ لكونها معطوفة على مخفوض قبلها. و " الذين من بعدهم " في هذه الآية خبر مجملٌ ذُكر بعض تفصيله في آياتٍ أُخر كقوله تعالى ﴿ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ [٢٠٦]، وقوله تعالى ﴿وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود، وقوم ابراهيم وقوم لوط، واصحاب مدين وكذب موسى

---

[٢٠٣] ينظر: ايضاح الوقف والابتداء ٧٣٩.

[٢٠٤] ينظر: اعراب القرآن للنحاس ١٧٩/٢، مجمع البيان م٣/٣٠٥، التبيان في اعراب القرآن ٧٦٤، تفسير ابي السعود ١١٩/٣.

[٢٠٥] ينظر: ايضاح الوقف والابتداء ٧٣٩، القطع والاستناف ٤١٤، المكتفى في الوقف والابتداء ٢٢٤، منار الهدى ١٧٤.

[٢٠٦] التوبة ٧.

فأمليتُ للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير﴾ [٢٠٧] وقوله تعالى ﴿كذبت قبلهم قومُ نوحٍ وأصحابُ الرس وثمودُ، وعادٌ وفرعونُ وإخوان لوط، واصحاب الأيكةِ وقومُ تُبّع كُلٌ كذبَ الرُسُلَ فحق وَعيد﴾ [٢٠٨]. ولأنهُ لم يُفصَّل باكمله، قال تعالى ﴿لا يعلمهُم الا الله﴾ فهم من الكثرة بحيث لا يُحصى عددهم ولا يُحيط بهم علما الا الله سبحانه، اذ انهم من بعد قوم ثمود الى زمان سيدنا محمد ﷺ، والدليل على هذا ماروي عن ابن عباس، رضي الله عنه، من انه قال: " بين عدنان واسماعيل ثلاثون أبا لا يُعرفون" وروي عن النبي محمد ﷺ، انه قال لما سَمع النسابين ينسبون الى معد بن عدنان ثم زادوا: " كذب النسابون ان الله يقول ﴿لا يعلمهم الا الله﴾ " [٢٠٩]

وهذا الوقف تام عند نافع وابي حاتم واحمد بن جعفر [٢١٠]، وقيل كاف [٢١١].

وبعدُ: فـ " لا يعلمهم الا الله" على الوقف الاول خبرٌ لـ"والذين من بعدهم"، وعلى الوقف الثاني استئناف للأخبار عن العاطف (الذين من بعدهم) والمعطوف عليه (قوم نوح وعاد وثمود) وهو الأولى، لأنَّ أخبار الامم والاقوام وردت في القرآن الكريم جملة من غير عدد ولا عمر ولا كيفيةِ ولا كمية، وتفصيل ذلك ومعرفتُهُ واحصاؤُهُ وتحصيل علمِهِ انما هو من شأن الله تعالى، وهذا مايؤدِّيْهِ الوقف على " والذين من بعدهم " دون الوقف على " ثمود ".

---

[٢٠٧] الحج ٤٢-٤٤.

[٢٠٨] سورة ق ١٢-١٤.

[٢٠٩] ينظر: الكشاف ٥٤٢/٢، تفسير القرطبي ٣٤٤/٩، التفسير الكبير ٨٨/١٩.

[٢١٠] ينظر: القطع والائتناف ٤١٤، منار الهدى ١٧٤.

[٢١١] ينظر: منار الهدى ١٧٤، المقتصد ١٧٤.

المَوْضِعُ التَّاسِعُ

في الآية الخامسة والثلاثين من سورة القصص عند " اليكما " و " بآياتنا " في قوله تعالى لسيدنا موسى، عليه السلام، ﴿سنشدُ عَضُدَك بأخيك ونجعلُ لكما سُلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا انتما ومن اتبعكما الغالون﴾

والآيات التي قبلها تصور رجوع موسى، عليه السلام، من فلسطين الى مصر التي خرج منها خائفا يترقب بعد حادثة القبطي الذي وكزه فقَضى عليه، رجوعه بالبراهين والادلة والحجج على صدق نبوته، وسؤاله الله سبحانه وتعالى ان يجعل أخاه هارون رسولا معه الى فرعون وملئه ليعينه على أداء المهمة بما أوتيَ من طلاقةٍ في اللسان وفصاحة في القول [٢١٢]. فكان جواب الله تعالى له هذه الآية.

والمراقبة فيها، كما أسلفنا" " اليكما " و " بآياتنا ".

١. فاذا وُقِفَ على " اليكما " ابتدئ بـ " بآياتنا " وكان تعلقها بمحذوف أو بـ " الغالبون ". فان تعلقت بمحذوف فالتقدير: اذهبا بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون [٢١٣] بدليل قوله تعالى ﴿فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون﴾ [٢١٤]. وان تعلقت بـ (الغالبون) ابتدئ بها ايضا، وكان في الكلام تقديم وتأخير، وهذا ماذهب اليه الاخفش واختاره الطبري [٢١٥]، والمعنى عليه: انتما ومن اتبعكما الغالبون بآياتنا [٢١٦]، أي: انتما ومن اتبعكما الذين يغلبون بآياتنا، وعلى هذا التقدير تكون " آياتنا " داخلة في الصلة وفيه تقديم الصلة على الموصول وتفريق بينهما وهذا ما يمنعه النحاة، لأن الصلة تمام الاسم، كأنك قدمت بعض الاسم وانت تنوي به

---

[٢١٢] القصص ٣٣، ٣٤ ﴿قال رب اني قتلتُ منهم نفساً فأخافُ أن يقتلون. وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً يصدقني اني أخافُ أن يكذبون﴾.

[٢١٣] ينظر: الكشاف ٤٦٠/٣، زاد المسير ٢٢١/٦، تفسير البيضاوي ١٩٣/٢، تفسير النسفي ١٨٠/٣، فتح القدير ١٧٣/٤، روح البيان ٤٠٤/٦.

[٢١٤] الشعراء ١٥.

[٢١٥] ينظر: تفسير الطبري ٧٦/٢٠، القطع والائتناف ٥٤٦، فتح القدير ١٧٣/٤.

[٢١٦] تنظر المصادر السابقة وتفسير القرطبي ١٣/ ٢٨٧، وتفسير ابن كثير ٣٨٩/٣.